

القدس منسى يوحنا



الدليل الصحيح
في تأثير دين المسيح

مكتبة المحبة
MB

مقدمة

منذ ألفى سنة تقريباً رن في فضاء هذه الأرض صوت يقول
«المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة»

منذ ألفى سنة هبط الجواهر الالهى للاتحاد بطبيعة البشر فى عالمنا
الدنى .

منذ ألفى سنة جاء الى العالم اعلان الله فى شخص يسوع المسيح
معلننا للبشر محبته ، وكانت حياته قصيرة الأمد لا تتجاوز الثلاثة
والشلائين حولاً من بيت لحم الى الجلجثة لم يقض منها الا ثلاث سنوات
فى خدمته العامة ، ولكن تلك الحياة القصيرة وذلك الموت الذى ماته على
أثرها أحدثا انقلاباً عظيماً فى العالم فكانت الأمم وقتئذ متشعبة من روح
الأنانية قعينة الظلمة الحالكة وحضيئة الشر المدهم لا يرى فيها الا الشقاء
والفساد وكان العالم كله مسوقاً بسلطان القوة الغاشمة ولا أثر فيه لنا موسى
المحبة .

فجاء المسيح برسائله وأعلن محبة الله ورغبته فى إيواء كل شارد
فكان لإعلانه رنة فرح ورجاء دوى صدها فى كل المسكونة

يسوع المسيح ابن الله صار انساناً فاستبدل عرش المجد بمذود بيت

لحم ، وآثر سخریات الناس على هتاف الأجواق السمائية ورضى
بأكلیل الشوك بدلا عن اكلیل العظمة والابهة . وانتسب الى عائلة فقيرة
تمتحن حرفة النجارة وعاش بين شعب مرذول ومحتقر كان يتجرع وقتئذ
كؤوس الذل مترعة تحت نير الامبراطورية الرومانية

ولما كان طفلا هرب مع والديه الى مصر طلبا في النجاة وبعد
أن أتم مهمته قضى كمجرم على الصليب ولكن قبل أن يموت أوعز الى
نفر قليل من الصيادين والفقراء أن يبشروا بحياته وموته ورسالته ففعلوا
ومن ذلك الحين نرى الممالك والامم تعتنق المسيحية الواحدة بعد
الآخرى .

ولم يكن هناك سبب يجعل الناس يؤمنون بالمسيحية إلا لان
السيد المسيح أتى بالثاليم المثلى التي كانت دواء شافيا لعلل البشر
الكثيرة التي انتابتهم والتي لبثوا يشنون منها قرونا عديدة . حتى أن من
يقارن حال العالم قبل ظهور المسيحية وحاله بعد ظهورها يرى الفرق
واضحا لكل ذى عينين فالآداب تحسنت والعلوم أزهرت والعادات ارتقت
والضمائر اطمأنت ولم نعد نسمع أنات المظلومين وزفرات البائسين فالعدل
انتشر والملاجىء شيدت لايواء العجزة والمقعدين وشعر الناس بواجباتهم
نحو بعضهم فطفق العالم يرشد الجاهل وأخذ البصير يقود الاعمى . كل
هذه وغيرها ثمار جناها العالم من فضل تأثير المسيحية وفعلها الحسن
السريع في النفوس

أجل . ان المسيحية لا تعمل بقوة السلطان أو البطش أو بالطنطنة
والصراخ ولكنها بقوة خفية لا ترى . ولا غرو فان بعض القوى الطبيعية في
العالم المادى تتبع هذا المثال . فهل يشعر أحد بدوران الارض حول
الشمس ؟ أو هل يشعر أحد بكيفية غوه ؟ أو هل نسمع قوة الجاذبية التي
تحدث المد والجزر في البحار ؟ هكذا قوى المسيحية فانها تفعل فعلها بهدوء
ونظام ولا نرى الا نتائجها

رب معترض يقول . اننا نرى الامم المسيحية لا تخلو من الشرور
والمساوء الادبية بل كثيرا ما تتطايير منها شرور الائم الى غيرها .
فنجيب أن الشرور والمساوء لا مناص منها في عالم متسع مثل هذا مملوء
من المطامع الاشعية ومشحون بحب الذات والاثرة بالسلطة . ولنا من
الذين يقولون بإمكان استئصال الشر من العالم . ولكن قادة الرأي
العام في كل البلدان المسيحية يناضلون نضال الابطال ضد كل هذه
المساوء ويرفعون عقيرتهم بالشكوى من دوس الشرائع المسيحية
ويعضدهم في ذلك كل المسيحيين الحقيقيين

على أن ازدياد عدد المعترفين بعظمة المسيح ولاهوته مع حقارة
شأنه في مبدأ الامر وثبات المسيحية لان ضد العقبات العديدة التي
اعتترضتها ، وتأثيرها العجيب وفضلها على العالم مما يبرهن بكل صراحة
على حقيقتها وما يجعلنا نؤمن أكثر فأكثر ان المسيحية هي الدين السماوى
الذى أوجده الله في العالم خير مخلوقاته ما داموا على الارض وبه يصلون
مكان الراحة في العالم الآخر .

الباب الأول

شهادة العظماء للمسيح

« ان سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ » لو ١٩ : ٤٠

فى القرن الماضى بعثت مجلة انكليزية تصدر فى لندن الى مئة من مشاهير انكلسترا فى ذلك الوقت سؤالا تطلب فيه من كل منهم أن يحصى لها عشرة من أشهر مشاهير العالم وعظمائه منذ الخليقة الى الان وقد أخذت أحد المسؤولين الحماقة وكان كافراً فأحصى بين الرجال الذين انتقاهم « يسوع المسيح » باعتبار أنه من مشاهير العالم . ولما نشرت المجلة أجوبة الجميع ، استشاط ذلك المجيب غيظاً وبعث يقول للمجلة « لماذا لم يعد المسئولون الآخرون (المسيح) من ضمن مشاهير العالم ؟ » فكان جواب التسعة والتسعين : لا يجب علينا أن نحسب المسيح فى عداد البشر الناقصين لأنه اله بل هو الذى خلق الجميع ووهبهم ما وهب من المواهب التى عززت شهرتهم ونشرت اسمهم — ثم قالوا : لو كنا نريد أن نحصى المسيح بينهم لما كتبنا على أوراقنا سوى كلمة واحدة هى (المسيح) لأنه باعتباره انسان ظهر فى العالم لا يجاريه مخلوق لا فى الاعمال ولا فى الشهرة ولا فى العظمة فهو فوق الجميع الها وانسانا . أهـ

أجل : قد يتوهم الكثير أن جمل اسم يسوع بين أسماء مشاهير

العالم مما يضعف شأنه ولكن يا من تساوون المسيح بعظماء الدهر أقول لكم . أن عظماء العالم ومشاهير الوجود لم يجمعوا على أن يعظموا شخصا بمقدار ما أجمعوا على تعظيم وتمجيد المسيح يسوع . فقد نطقوا سواء كانوا كفرة أو مؤمنين بأنه اله (ولا يستطيع أحد أن يسلك سلكه أو يعمل الأعمال التى عمل ان لم يكن الها) وتحقيقاً لقولى هذا سأدرج فى هذا الباب كل ما وقفت عليه فى الكتب أو المجلات من أقوال العظماء بشأن المسيح ليطلع عليها من يجاهدون بابتكار الشمس فى ابان الظهيرة فى يوم صفا أديمه ورق نسيمه .

ولا أخفى أن ما دعاني الى الكتابة فى هذا الصدد هو أن أحد الطلبة المصريين الذين انہوا علومهم بمدارس أوروبا والذين تشبعوا بالمبادئ الكفرية قال لى يوماً بينا كنا نتكلم عن عظمة المسيح « أن فولتير أتى بتعاليم أنقى من تعاليم المسيح وعمل فى فرنسا ما لم يستطع المسيح أن يعملہ . فالديانة المسيحية اوصلت فرنسا الى أسفل درجات الانحطاط ولكنها بمبادئ فولتير وآرائه نفضت عنها كل خرافات المسيحية التى أخربتها » فأجبتہ « أن سر سقوط فرنسا فى العصور المظلمة لم يكن منشأة تعاليم المسيحية ولكن كانت علته استبداد الكهنة ، وهؤلاء عملوا ما نهاهم الانجيل عنه وما لم يأمرهم به السيد المسيح . أما تعاليم المسيح من حيث هى تعاليم فهى أفضل الشرائع التى وجدت للان بل هى التى عملت على تغيير الانسانية من صورة فاسدة الى صورة مجيدة وقد شهد بذلك أحد الكتبة المشهورين اذ قال « ان ما جاء فى الكتب المقدسة من التصريحات والبيانات يدل دلالة واضحة على أن الذين رافقوا المسيح

اعتبروه الها وأنه هو اعتبر نفسه الها وهكذا نظر اليه الذين كتبوا بالهام الروح . ولكن علاوة على هذه الشهادات الكتابية الواضحة فإن التأثير الذى تركه يسوع فى العالم يشهد بلاهوته شهادة لا ترد « أه

فقال لى ذلك الطالب ان لم يكن فولتير أعظم من المسيح فهو على الأقل نظيره وان يسوع لا يخرج عن كونه عظيما من عظماء العالم . فقلت له إن عظماء العالم أنفسهم أجمعوا على أن المسيح هو أعظم منهم جميعا وأنه أعظم من انسان فاذا تقول ؟ . فأجبتنى لم أطلع على أقوال واحد منهم بهذا الشأن . ولكننى خدعة للحقيقة جمعت له طائفة كبيرة من أقوال العظماء فى شخص المسيح وقدمتها له حتى اقتنع ، وحرصا عليها وعلى قوتها لأقنع كل مكابر أردنا أن ندونها للقراء وها هى حسب الترتيب الزمنى وهى ثلاثة أقسام :-

(الاول) شهادة عظماء العالم للمسيح قبل ظهوره

(ثانى) شهادتهم له فى ابان ظهوره

(الثالث) شهادتهم له بعد ظهوره .

الفصل الاول

شهادة العظماء للمسيح قبل ظهوره

« مع أنه لم يترك نفسه بلا شاهد » أع ١٤ : ١٧

لقد كانت المواعيد الالهية بظهور مصلح للعالم ومخلص له صريحة هكذا وواضحة ، وبناء عليها كان القدماء يتوقعون بالصبر مجيء ذلك الانسان حتى أن الذين بلغوا الدرجة السامية من العلم ، الذين رأوا فساد العالم وعدم قدرة حكائمه على اصلاحه تحققوا ضرورة مجيء شخص قادر على اصلاحه .

جاء فى كتاب « الحكمة الالهية » ص ٨٩ ما نصه :

« لقد قام رجال كثيرون مشهورون بذكاء العقل ووفور الحكمة وصرفوا حياتهم فى تطلب سر سعادة البشر الحقيقية ولكن كل منهم ارتأى طريقاً للحصول عليها تخالف ما ارتآه غيره وما من طريق من تلك الطرق فاز بالفرص أو اعتنقه الشعب عامة . وبعد أن صرف أولئك الفلاسفة زمانهم فى المناظرة والمشاغبة ، وكل منهم يدعى بأنه اكتشف ذلك السر المصون وقضوا حياتهم بالتعب ضمتهم الأرض كما ضمت أسلافهم فترك الانسان فى شقاوته غير مكتف بحاله لأن الفلسفة ابانت داء قلبه المضال

ولم ترشده الى الدواء . ويمكننا أن نستثنى من هؤلاء الفلاسفة سقراط وأفلاطون فإنهما لما رأيا بعين الحكمة فساد الطبيعة البشرية وعدم قدرة البشر على اصلاحها ولما تأكد عندهما احتياج الانسان الى دواء ناجح وترسخ في أذهانها جودة خالق البشر قالوا على رؤوس الاشهاد : لابد من اتيان معلم سماوى يرد الحق والسعادة الى النفس الانسانية « أهـ

و يظهر من المحاوراة الآتية ان افلاطون اعتقد ان الانسان لا يقدر ان يعلم حقيقة الآلهة ولا الطريق المناسبة للعبادة ما لم يأت معلم من السماء .. والمحاوراة بين سقراط والسيادس

قال سقراط : ان الصبر اجل ، وعليك ان تصطر حتى يأتى من يعلمك واجباتك للالهة وللشعر .

قال السيادس : متى يأتى ذلك الوقت ياسقراط ومن يعلمنى .
فانى اود كثيراً ان اراه من هو ؟

قال سقراط : انه ليتم بك ولكن ألا ترى ان هوميروس قال عن منرفا انها نزعته الظلمة عن عينى ديوميدس لكى يميز الاله من الانسان . فكذلك على هذا الاله ان ينزع الظلمة اولا من عقلك و يقرب اليك الامور التى تجعلك تميز الخير والشر .

قال السيادس : لينزع الظلمة وكل ما يريد نزعته منى وأياً كان هذا الشخص انى مستعد أن لا أخالف له قولاً اذا كان فى وسعه أن يجعلنى أفضل مما أنا « أهـ

ومن يطلع على عقيدة اليونان القديمة ومثولوجيتها لا شك يعلم أنه وجد من يدعى بروميسه الذى تكبر وأراد أن يساوى نفسه بالآلهة فأرسلت له هذه عقاباً يعذبه على جبال القوقاز فشفقت اليونان عليه وأرسلت له هرقل مخلفاً فلم يفلح فقال اشيل (١) « الاله وحده هو الذى يأتى ويفتدى هذا البائس »

وقال الشاعر الخالد فرجيل (٢) فى انشودته الرابعة « سترى الانسانية جيلاً جديداً بولادة طفل ينزل من السماء وينتسب الى الآلهة »

وقال كونفوشيوس (٣) « سمعت أن فى الجهات القريبة من آسيا سيظهر رجل صالح يعمل أعمالاً غريبة عجيبة لأنه مرسل من السماء ويكون له السلطان على الأرض (راجع كتاب الوسط الغير المتغير ترجمة ايل رموزات صحيفة ١٤٤ و ١٤٥)

بل اسمعوا أيضاً ما قاله تاسيت (١) « سينهض الشرق وسيخرج من اليهودية من يسود العالم »

(١) اشيلوس ٥٢٥ - ٥٥٦ ق . م اول شاعر راوى شهير . مبتدع فن التشخيص .

يفوق سواه فى سمو الافكار

(٢) فرجيل ٧٠ - ١١٩ ب . م هوميروس الرومان ويسمى بساخر البيان وملك

الفصاحة

(٣) كونفوشيوس . فى القرن السادس ق . م اخلاقه ومبادئه صارت اساس التدين

الصينى

(٤) تاسيتوس ٥٥ - ١١٨ ق . م هو من اعظم المؤرخين . العالم مدين له بأكثر

معارفه التاريخية لاسيا عن البريطان الاولين وعن الجرمانيين

وقال سوتيون صديق القياصرة « ان الشرق بأجمعه متشيع بفكرة أن من اليهودية سيوجد من يسود العالم »

قال هرمس في كتابه المعروف بكتاب التسعة أحجار « العدل يبطل والامة القديرة تشغب وتطلب ما ليس لها بحق أيضا والمخزون تظهر أيامه وهو آت يكون في الارض وتتآمر الامة النجسة بالباطل هم وحكماؤهم على ملك الملوك »

وقال سولس « الملك العظيم التقى بلا دنس رب الانام الذي كل شيء بعد ضيائه . ننظره »

وقال ادنش « واحد هو فقط الضوء الغير المحسوس وهو في كل وقت الذي يحوز الفكرين والكلمة المولود منه كاملة في كل شيء وصناعة كل شيء »

وقال أفلاطون (١) « واحد هو الاله العلى في العلاء الذي كلمته الغير المحسوسة حبلت بها جارية وهذا مثل الفأس المتردية بالنار وسلك في أحشائها ويدخر العالم ويقر به لأبيه قربانا واسم الجارية العذراء »

(١) أفلاطون ٤٢٩ — ٣٤٨ ق. م يقول اميرسون « أفلاطون هو الفيلسوف والفلسفة هي أفلاطون »

وقال سقراط (٢) « ان العلى الاعلى يظهر في الارض وقيم الموتى و يظهر آياته الربانية و يرجع الى عرشه الرهيب ولا يعودون يرونه الى يوم الحكم العظيم »

وقال ارسطو (٣) في كتابه المسمى الكنتوز « ان كنز الحياة عند أدوناي الاله الذى يظهر في المسكونه اجمع و يسمع صوته الذين في القبور و يقومون »

هذه هي شهادات اعظم فلاسفة العصور القديمة عن المسيح اوحى اليهم روح الاستقراء والبحث ، وبعد أن انتشرت الديانة المسيحية أخذ الفلاسفة يبحثون فيها بعين التروى فوجدوها الغاية الوحيدة التى صرفوا حياتهم هم ومن سلفهم فى التفتيش عنها ولم يجدها وما يؤيد ذلك قول اكلمنضس الاسكندرى « ان الفلسفة ارشدت اليونانيين الى المسيح كما أن التاموس ارشد اليهود اليه »

(٢) سقراط ٤٦٩ — ٣٩٩ ق. م فيلسوف الاداب — حياته وموته وتعاليمه هي المدنية الحقيقية

(٣) ارسطوطاليس ٣٨٤ — ٣٢٢ ق. م باحث فى ما حول الانسان . مؤسس الفلسفة التحليلية

تقرير بيلاطس (١) حاكم اليهودية الى الامبراطور طيبار يوس قيصر (٢)
ايضاحاً للأسباب التي ادت الى الضجة في اورشليم طلباً لموت يسوع
الناصري . وهذا ترجمة الخطاب بالحرف الواحد :-

جناب الامبراطور طيبار يوس قيصر الملك المفخم
بعد تقديم ما يجب لسامى المقام من السلام والاكرام

بيلاطس البنطى والى اليهودية الى طيبار يوس قيصر بخصوص صلب السيد المسيح ، ويتم
ان ينسخ صورة منه الا انه ذكر بعد مضي زمن هذا الاثر ووجوده فى مكتبة الفاتيكان
امام المستر هامان أحد الخدمه المسيحيين فشر بفائدته الجزيلة وطلب الحصول على ترجمته
فكتب الى الاستاذ الالمانى يكلفه بهذا الامر وكان صديقاً للاب فريلهوسن باشمحافظة
الفاتيكان وقد حصل المستر هامان على بقيته فى مقابل دفع ٧٢ ريالاً

« وقد عثرنا على ترجمة هذا الخطاب باللغة الانجليزية فى مجلة « Zion's watch tower » فى شهر
فبراير سنة ١٩٩٢ م فاجبنا أن نتحف حضرات القراء بنقله اليهم حيث يجدون فيه شهادة لكل ما
جاء فى الاناجيل المقدسة تفصيلاً عن صلب يسوع » أ هـ (عن مجلة الكرمة السنة الثانية ص
١٣٤)

(١) بيلاطس هو وال اقامته الحكومة الرومانية نائباً أو حاكماً على اليهودية فى سنة
٢٩ م واستمر حكمه بضع سنين الى ما بعد صعود مخلصنا وكانت قيصرية مركز ولايته ،
وكان يصعد الى اورشليم الى دار الولاية فيقضى للشعب هناك (يو ١٨ : ٢٨)

(٢) طيبار يوس قيصر كان اسمه الشام طيبار يوس كلوديوس نيرون ، وكان بعد
اوغسطس (لو ٢ : ١٢ و ١ : ٣) ومع انه كان فيه بعض الاخلاق المدسوحة الا انه كان
بالاجمال ظالماً قليل الحياء . وانقضت أكثر حياة المسيح مدة حكمته ويطن انه كان مجنوناً .
وكان ابتداء ملكه سنة ١٤ ب . م وملك ٢٣ سنة

الفصل الثانى

شهادة العظماء للمسيح فى ابان ظهوره
« وكان الجميع يشهدون له » لو ٤ : ٢٢

ولد السيد المسيح فدوى خبره فى أطراف المسكونة وجعلت
الاسم ترمى اليه الاحاط وأخذت العيون تجتليه شاخصة اليه ، وما هو إلا
زمن قصير حتى عرفوا كل شىء . عرفوا ان هذا هو مخلص الانسان أو كما
عرفه أحد المشاهير فى ذلك الوقت « حمل الله الذى يرفع خطية العالم »

ظهر السيد المسيح فهز عروش السلاطين وخلع قلوب أصحاب
التيجان وطفق ولاية الرومان فى اليهودية يبعثون المكاتيب تلو المكاتيب عن
هذا الشخص العجيب وعن اعمال قدرته الفائقة . وقد عثرنا على ثلاثة
مكاتيب من هذا القبيل ندرجها لما فيها من الشهادة القوية الصادرة من
اعظم الرجال الوثنيين لعظمة المسيح والوهيته وقوته العجيبة وحوادثه
الغريبة

أولاً - المكتوب الاول (١) وجد فى الفاتيكان بروميه فحواه

(١) هذا المكتوب نشرته جريدة (الاجيشيان غازيت) وقد صدرته مقدمة هذا نصها :
« عثر أحد الاساتذة الالمانيين المهتمين بالاكشاف والآثار القديمة على كتاب مخطوط من

اعرض ان الحوادث التى حصلت فى ولايتى فى هذه الايام هى ذات شأن عظيم حتى رأيت من المناسب أن احرر لجنابكم تفصيلاتها لانه لا عجب اذا كانت تغير مستقبل امتنا على مر الايام وكر الاعوام لانه يظهر لى ان الاله غضت الطرف وتخلت عنا فى هذه الايام حتى انى اكاد ألعن اليوم الذى استلمت فيه زمام حكومة اليهودية عقب (غالير يوس جراتيوس) ولكن هكذا قدر وهكذا صار

وعند وصولى الى اورشليم استلمت محل القضاء وأمرت باعداد ولية فاخيرة دعوت اليها رئيس ربيع الجليل ورئيس الكهنة وحاشيته ومعيته ولكن لم يحضر أحد منهم فى الميعاد المقرر للمحضور فاعتبرت ذلك سبة واهانة لمركزى ومقامى . وبعد أيام قليلة تنازل جناب رئيس الكهنة وزارنى وكانت تلوح فى وجهه الهيبة والخداع وادعى ان ديانتة لا تبيح ولا تحيز له ولا لحاشيته الجلوس على مائدة الرومانيين واهراق السكائب معهم . فرأيت ان الاقرب الى الصواب والسياسة قبول اعتذاره ولكن تأكدت من هذه اللحظة أن هذه الامة المقهورة التابعة لنا اضمرت العدوان والمناوأة لاسيادها المسؤولين عنها ويظهر لى أن مدينة اورشليم هى المدينة الوحيدة التى يصعب حكمها بخلاف باقى المدن التى استولينا عليها . فان دأب سكانها الميل الى العدوان والهيجان والاضطراب بحيث اننى دائماً فى ارق وقلق وجزع وفرع لئلا يخلعوا دثار الطاعة ويحدثوا القلاقل والفتن وليس عندى لقمعهم واخضاعهم سوى قائد مئة وشرذمة قليلة من المساكر تعد على الاصابع وطلبت من والى سورية ان يرسل لى مدداً فاخبرنى انه لا يستغنى عن نفر واحد من عساكره فانهم غير كافيين

لحماية ولايته وحفظ الامن إلا بشق النفس . واخشى أن التولع الزائد لفتح البلاد وتدويع العباد وتوسيع مملكتنا اتساعاً فاحشاً حتى نعجز عن حمايتها والذب عنها يكون سبباً فى ضعفنا اركان حكومتنا الفخيمة

ومن الاشاعات التى طرقت أذنى واستلفتت أنظارى بنوع خصوصى هذه الاشاعة : — وهى أن شاباً ظهر فى الجليل يدعو الناس بسحة ولهجة شريفة الى شريعة جديدة وكنت أعشى فى مبدأ الأمر أن تكون غايته توحيد الصدور على الرومانيين واغراءهم على القيام عليهم ولكن زال ما كان يخلج فؤادى من الريب وانقشعت مخاوفى فكان يؤخذ من كلام يسوع الناصرى انه يميل الى الرومانيين أكثر من ميله الى اليهود وفى ذات يوم لما كنت ماراً فى جهة « سلوا » (١) حيث كان مجتمعاً جمهور من الناس (٢) رأيت فى بهوة الحلقة شاباً متوكئاً على شجرة يخاطب الجمهور بهدوء وسكون . فقلت بعد الاستفهام — ان هذا الشخص هو يسوع — وهو ما كنت أنتظره وأتوقعه و يلهمنى اليه وجدانى فانه كان يوجد بينه وبين السامعين بون عظيم وفرق جسيم ، فلون شعره الذهبى ولحيته اللطيفة جعلت هيئته سماوية و يظهر انه بلغ من العمر ثلاثين سنة (٣) ولم أرفى حياتى وجهها صبوحة أحلى وأصفى أو أنقى من وجهه وما أعظم الفرق بينه وبين سامعيه ذوى اللحى السوداء واللون

(١) نح ١٥ : ٣ ولو ١٣ : ٤ ويو ٩ : ١٥

(٢) لو ١٧ : ٦

(٣) لو ٣ : ٢٢

الاسمر (١) ولما كنت لا أريد أن أشوش عليه استمرت على السير ولكن أوعزت الى كاتبى الخصوصى أن ينضم للجمهور وينصت لأقواله . واسم كاتبى هو « مانيليوس » حفيد زعيم المتأمرين الذين حلوا فى « أنروريه » فى انتظار « كانلين » وكان « مانيليوس » سابقا من اليهودية وله المام تام باللغة العبرية وأظهر الولاء والامانة لى وهو جدير بثقتى . ولما دخلت محل القضاء لقيت « مانيليوس » فقص على أقوال يسوع التى نطق بها فى « سلوا » ولم أسمع فى خطب الخطباء ولا فى مؤلفات الفلاسفة كلاما يشبه كلام المسيح وجوامع كلمه (٢)

فسأله أحد اليهود القساة العصاة — فان أمثال هذا العاتى كثيرون فى أورشليم — وقال له : هل يجوز أن تعطى الجزية والجباية لقيصر أم لا ؟ فأجاب يسوع « أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » (٣) فلذا أعطيت هذا الناصرى بسبب حكمة أقواله حرية تامة لأنه كان فى استطاعتي وامكانيى القاء القبض عليه ونفيه الى بنطس ولكن لو فعلت هذا لكان منافيا للانصاف والعدل اللذين اشتهر بهما الرومان فلم يكن هذا الرجل من المفسدين ولا من العصاة (٤) وجعلته تحت ظل حمايتى ورعايتى وان لم أطلعه على ذلك فيجوز له أن يفعل كيف يشاء ويتكلم مع من يشاء ويجتمع مع الناس ويخطبهم (٥) ويختار تلاميذه بلا تضييق عليه ولا قيد (٦) فاذا قدر (لا سمحت الالهة بوقوع هذا التشاؤم) بأن

(١) هذا الوصف ينطبق تمام الانطباق على الوصف فى المخطوط الثالث الاينى

(٢) يو ٧ : ٤٦ (٣) مت ٢٢ : ١٥ — ٢٢ (٤) يو ١٩ : ٤

(٥) مت ١ : ٥ (٦) (٢) يو ١ : ٣٥ — الخ

تنسخ ديانة يسوع ديانة اسلافنا وجدودنا يكون سبب دفن ديانة رومية فى الرسم وزوالها من الوجود واطلاق عنان الحرية للناس فى الديانة وأكون أنا الرجل التبعس آلة ووسيلة فيما يسميه المسيحيون العناية ونسميه نحن بالمكتوب المقدر .

ولكن اطلاق الحرية ليسوع هيج اليهود الأغنياء والأقوياء لا البائسين والفقراء (١) ولا ينكر أن يسوع كان صارما على الأغنياء الاقوياء ومن رأى أن عدم تقييد حرية الناصرى هو لحكمة سياسية مفيدة فكان يقول للكتبة والفريسيين ما نصه « يا أولاد الافاعى أنتم تشبهون القبور المبيضة » (٢) وكان يزدري بصدقة العشارين الصادرة عن الكبرياء وأوضح لهم ان فلس الامله هو عند الله خير وإبقى وأثمن واغلى (٣) وكانت تقام شكاوى جديدة كل يوم فى محل القضاء على وقاحة اليهود . وبلغنى انهم عزموا على الفتك به (٤) وليست هذه المرة الاولى التى رجعت فيها اورشليم أنبياءها وبلغ عتوهم ان قالوا اذا لم تنصفهم الولاية رفعوا دعواهم الى قيصر

ومع كل هذا فوقع سلوكى فى مجلس « السناتو » فى رومية موقع الاستحسان ووعدننى بارمال المدد بعد الحرب البارتينانية . وبما أنه اذا استفحل الامر وحصلت ثورة فليس فى استطاعتي اخادها لعدم وجود

(١) مت ٢٦ : ٣ و٤

(٢) لو ٢٨ : ٢

(٣) مت ٢٣ : ٢٧ ولو ١١ : ٤٤

(٤) يو ١٠ : ٣١ و٣٩

القوة الكافية فلذلك عزمتم على اتخاذ هذه الطريقة التي تتكفل باستتباب الهدوء والسكون في المدينة بدون تعريض الولاية للذل والاستكانة بالرضوخ لمقترحاتهم

فارسلت خطاباً الى يسوع طالباً مقابلته في محل القضاء للتحديث معه فلبى الطلب . ولا يخفاكم ان في عروقي يجري الدم الاسبانيولي المختلط بالدم الروماني بحيث لا اخشى من اضطراب الجأش ، ولما وصل الناصري كنت اتمشى في المحكمة وظهران قدمي ربطتا بيد حديدية بارض المحكمة المبلطة بالرخام وارتعدت فرائصي كأنى مجرم مع ان الناصري كان هادئاً ساكناً ، ولما دنا منى وقف و اشار الى كأنه يقول لى ها أنا أتيت فتفرست بالانذهال والاحترام الى هذا الرجل العجيب الصورة والهيبة التي لم يكن لقرائع المصورين والنقاشين أن يأتوا بمثل هذا الشكل البديع مع تفننهم في رسم صور الآلهة والابطال ، واخيراً قلت له ولسانى متعلثم يايسوع الناصري قد منحتك في الثلاث سنين الماضية حرية وافرة لتخاطب الناس وانى غير متأسف على هذا فان اقوالك هي اقوال حكيم ولا اعرف اذا كنت طالعت كتب « سقراط » أو « افلاطون » أو غيرهما ولكن الأمر الأكيد عندى هو ان خطاباتك واقوالك مشهورة بالبساطة السامية التي ترفع قدرك على اولئك الفلاسفة . وبلغ الامبراطور هذا الخبر وما اننى النائب عنه في الحكم على هذه الامة فانا منشرح لأنى منحتك هذه الحرية فانك جدير بها

ومع ذلك لا اخفى عنك ان اقوالك وخطاباتك احدثت لك

اعداء اقرباء الداء ولا عجب في هذا فقد كان لسقراط اعداء ومن شدة بغضهم له جرعه غصص المنون . واعدائك يستأثرون منك لسبين : اولهما اقوالك وثانيهما الحرية التي خولتها لك . بل اهتمونى بالاتحاد معك سرأ لنجرد العبرانيين من السلطة الطفيفة التي تركتها رومية لهم . فغاية ما اتسمه منك ولا اقول على سبيل الامر . هو ان تزداد تبصراً واحتياطاً في المستقبل وان لا توغر صدور اعدائك لئلا يهيجوا عليك الاوباش ويحملونى على استعمال آلات العدل

فاجاب يسوع بهدوء : يا حضرة امير الارض ان اقوالك هذه ليست صادرة من الحكمة الحقيقية . أيجوز ان تقول للتيارقف في وسط الجبل لانه يستأصل اشجار الوادى ؟ لأجوابك هذا التيار الجارف قائلاً — يجب على ان اطيع نواميس الخالق فانه الذى يعرف وحده المحل الذى يصب فيه التيار . الحق اقول لك انه قبل أن يزهر نرجس شارون يهرق دم البار . فاجبته بروعة وقلت له لا يسفك دمك فان منزلتك عدى بالنظر الى حكمتك هي اسمى من منزلة جميع الفريسيين المتغطرسين الميالين الى الهييجان والعدوان الذين لم يعرفوا قيمة الحرية التي خولها لهم الرومان بل تألبوا على القيصر وتآمروا عليه وتوهوا ان ما اظهرناه لهم من اللين هو خوف ولم يدروا هؤلاء الاسافل الوقحاء انه قد يبس احياناً ذئب الاحراش جدد الغنم . وعلى كل حال سأحيك من مكائدهم ، وسراى عدالتى مفتوحة لك تلتجىء اليها فى أى وقت شئت

فأطرق يسوع برأسه بلا مبالاة ولا اهتمام وقال بلطف وتبسم الهسى — متى حل يوم ابن الانسان لا يكون له منجأ فى الارض ولا تحت

السما وان مجاً البار هو هناك . قال هذا مشيراً الى السموات وانه ينبغي ان يتم ما هو مكتوب فى كتب الأنبياء (١)

فأجبت بتؤدة وقلت له : أيها الشاب انك تلزمنى على تغيير طلبى الى أمر فان سلامة الولاية التى فوض لى الاهتمام بشأنها تستلزم ذلك والواجب عيتك ان تراعى زيادة الاعتدال فى خطاباتك واتبع أوامرى ولا تنقضها ولترافقك السعادة وأودعك فى أمان الله

فأجاب يسوع وقال — يا أمير الارض اننى لم آت بحرب الى هذا العالم بل أتيت بسلام ومحبة . وولدت فى اليوم الذى أعطى فيه اوغسطس قيصر سلاماً للعالم الرومانى ، فالاضطهاد لا يصدر منى بل من غيرى وسألاقيه طاعة لارادة أبى الذى أرانى الطريق (٢) فاذاً اكظم تبصرك الدنيوى فليس فى طاقتك ولا فى استطاعتك أن تحجز الذبيحة عن الفداء

قال هذا واختفى كطل لامع خلف ستارة السراى فالتجأ اليهود أعداء يسوع الى هيرودس الذى كان ولياً على الجليل وطلبوا منه أن ينفث انتقامه على الناصرى . فلو فوض الأمر لهيرودس لأمر بقتل المسيح حالا . ولكن مع تبايه بمقامه الملوكى كان يخشى من الاقدام على عمل يحط نفوذه وشركته فى مجلس السناتو

قال بيلاطس : ففى ذات يوم زارنى هيرودس فى محل الولاية ولما

عزم على الانصراف بعد أحاديث تافهة استفهم منى عما أراه بخصوص الناصرى فأجبت قائلاً يظهر لى أن يسوع هو من كبار الفلاسفة الذى يندر ظهور مثله فى الأمم العظيمة وأن تعاليمه لا تمس حرمة الدين مطلقاً وأن غاية رومية أن تطلق له عنان الحرية فى الخطابة فان سلوكه وتصرفه يجعلان له حقاً فى ذلك . فتبسم هيرودس تبسم الحقد والحبث وانصرف إلى حال سبيله بعد أن سلم على سلام متهمكم

وبما أنه قرب عيد اليهود العظيم كان غرض أئمة ديانة اليهود انتهاز فرصة ضحلة ورجة وهرج ومرج الشعب التى كانوا دائماً يظهرونها فى احتفالات الفصح لدرك مآربهم وكانت المدينة غاصة برعاع اليهود أصحاب الشغب والاضطراب الذين يصيحون طالبين قتل الناصرى وافادنى رسلى بأن خزينة الهيكل صرفت على اغراء القوم على الهياج (١) والخطب جسيم حتى تناولوا على قائد مئة رومانى بالشتم وطلبت من والى سورية أن يرسل الى مائة عسكري من المشاة ومائة أخرى من العساكر الخيالة فلم يسعنى فرأيت نفسى فريداً بشزيمة من العساكر يعدون على الأصابع فى وسط مدينة عاصية وليس فى استطاعتى تسكين هذا الاضطراب واحاد نيران الشغب ولم يبق لى سبيل سوى ترك الأمور تجرى فى مجارها فألقى الأوباش الهائجون القبض على يسوع ولما آتسوا عدم الخوف من الحكومة اذ ظنوا مع زعمائهم اننى جزع وفعج من ثورتهم تمادوا على الصياح قائلين : اصلبه اصلبه (٢)

(١) مت ٢٦ : ٦٠ و ٢٧ : ٢٠ و ٢٨ : ١١ — ١٥

(٢) مت ٢٧ : ٢٣ و ٢٨ : ١٩

(٢) يو ١٨ : ١١

(١) لو ٢١ : ١٨ و ٣١ : ١٩ و ٣٠

وقد تحالف وتآمر فى هذا الوقت ثلاثة أحزاب أقوياء و بيان ذلك ان الهيروديسيين اتحدوا مع الصدوقيين على احداث الشعب والاضطراب لسببين أولهما بغضهم للناصرى وثانيها توليهم لخلق نير رومية والتحرر من سلطانها فلم يفتفروا لى دخولى مدينتهم المقدسة بالبنادير والأعلام المرسوم عليها صورة امبراطور رومية وقد وقعت فى هذا الخطأ المشنوم جهلا منى بعاداتهم فاستبشعوا واستعظموا هذا الأمر وعدوه انتهاكا لحرمة الدين ، والأمر الثانى الذى أوغر صدورهم وزاد حقدهم وكيدهم هو أنسى كنت اشرت بصرف جانب من خزينة الهيكل فى تشييد أبنية ذات منافع عمومية فنبذوا هذه الاشارة ظهريا

وأيضا كان الفريسيون أعداء يسوع الالءاء ولم يكتروا بحكومتنا ونجروا غصص التوبيخات والتنديدات الصارمة التى رجهم بها الناصرى مدة ثلاث سنين حيثما توجه (١) ولما كانوا على جانب عظيم من النذالة والجهن وخور العزيمة ولجوا باشتياق وتولع ابواب مشاحنات الهيروديسيين والصدوقيين وزيادة على هذه الأحزاب الثلاثة تعين على ان اكافح الأوباش والرعاع الجاهلين فى الفوايات الميالين الى الانحياز وإلى الشورات والفتن — لأنهم يستفيدون من الفوضى والاختلال الناشئين عن هذه الفترة

فساقوا يسوع الى ان اتوا به امام رئيس الكهنة الذى كان وقتئذ

قيافا (١) فابدى رئيس الكهنة عملا دل على خضوعه السخرى فانه لو كان خاضعا لنا خضوعا حقيقيا وممثلا امتثالا صارما لما حكم على يسوع بالموت فارسل الى لأنطق بالحكم عليه فاجبته قائلا — بما أن يسوع كان جليليا فهذه القضية هى من اختصاصات هيرودس وبناء عليه أمرت بارساله الى الجليل . فتظاهر رئيس الربع — هذا الخداع المكارمحتجا باحترامه لمقامى بصفة كونه وكيل القيصرو فوض امر هذا الرجل لى وفى الحال صارت هيئة سراى كهنة قلعة محصورة وكان يزداد عدد الثائرين كل لحظة وغصت اورشليم بالافواج الكثيرة الآتية عن جبال الناصرة وظهر لى أن كل اليهودية انسكبت فى اورشليم انسكابا وكنت اقترنت بزوجة من الغال ادعت ان لها علما بالمستقبل فبكت والقت بنفسها عند قدمى وقالت لى « احترس ولا تمس هذا الرجل لأنه قدوس ، فرأيت البارحة فى رؤيا الليل ماشيا على الماء وطائرا على اجنحة الرياح وكلم العاصفة وأسماك البحيرة وكان الكل مطيعا له ممثلا لأمره وهذا سيل جبل قدرون جاريا بالدم وتمائيل القيصر ملائمة باقذار (جيمونيه) وأعمدة الانتريبيم سقطت وسترى الشمس حدادا كالعذارى الباكيات على القبر » فيا بيلاطس اذ لم تنصت لانتقاس زوجتك لابد أن يلاقيك الشروانى أخشى لعنة السناتو الرومانى وبأس القيصر»

وفى هذه الاثناء كادت سلام الرخام أن تسقط من ثقل الامواج

(١) من يطلع على ختام الاناجيل الاربعة يرى اتفاقا تاما ومطابقة كلية هذ المكتوب مترجع تماما للفائدة

الكثيرة فأتوا ثانية بالناصرى الى فتوحته الى كرسى القضاء يتبعنى
 حرسى وسألت من المتجمهرين بصوت صارم عما يطلبونه . فأجابوا قائلين
 نطلب موت الناصرى . فقلت لهم وأى ذنب اقترفه فأجابوا قائلين انه
 جدف وتنبأ عن خراب الهيكل وقال انه ابن الله وأنه الماسيا ملك اليهود
 فقلت لهم ان القانون لم يصدر عقاباً بالموت على مثل هذه الذنوب . فصاح
 هؤلاء الجماهير العتاة القساة قائلين — اصلبه اصلبه — وكاد صياح هذه
 الجماهير الهائجة الماشحة ان يززع اركان القصر وكان فى وسط هذه
 الجماهير الكثيرة شخص ساكن هادىء وهذا الشخص هو الناصرى .
 وبعد أن بذلت جهدى مراراً عديدة لوقيته وحايته من مضطهديه الفساة
 المجردين من الشفقة والرحمة لم يجد ذلك نفعا فاتخذت هذه الطريقة التى
 ظهرت لى انها الطريقة الوحيدة لانقاذ حياته ، وهى أننى أمرت بجلده ثم
 طلبت طشتاً وغسلت يدى امام الجمهور مشيراً بذلك الى استهجان عملهم
 ولكن لم يأت ذلك بشمرة ولا فائدة فان نعوس أولئك القوم ظمآن لقتله

وكثيراً ما رأيت فى ثوراتنا الداخلية هيجان الجماهير واحقادهم
 ولكنها ليست بشيء بالنسبة لما رأيته من اليهود فى هذه الحالة حتى يمكن
 أن يقال انه قد اجتمعت جميع الارواح الجهنمية فى اورشليم وكان يلوح
 لى أن هؤلاء الجماهير غير ماشين على الارض بل عمولين على الامواج
 المتلاطمة من ابواب محل القضاء لغاية جبل صهيون يعجون وبصيحون
 ويجأرون ويزأرون مما لم يسمع بمثله فى متن (البانونية) أو فى ميدان
 رومية

فأخذ النهار يعتم ويظلم بالتدريج مثل شفق الشتاء وكان مثله

مثل الظلام الذى شوهد عند موت يوليوس قيصر العظيم الذى كان أيضاً
 فى ١٥ مارس . أما من جهتى أنا وإلى هذه البلاد العاصية العاتية فكنت
 متوكئاً على عمود من أعمدة قصرى شاخصاً من الظلام المخيف الى
 زبانية العذاب يجذبون الناصرى البرىء ليجرعه غصص المنون . وغلا
 جميع الجهات التى حولى فان اورشليم تقيأت جميع الساكنين فيها الى بوابة
 الجنائز التى تؤدى الى جيمونيكة واكتفتنى هيئة الخراب والتحسر
 وانضم حرسى الى الخيالة وقائد المئة لاظهار ظل القوة بأذلين الجهد لحفظ
 النظام فسرت وحيداً منفرداً . وناجاني فؤادى بان هذه الامور الحاصلة
 الآن هى من متعلقات الآلهة وليست من متعلقات انسان وسمع صياح
 شديد وصراخ عال من الجلجلة محمولا على الرياح متنبأ بكرب لم يطرق
 أذن انسان مثله . فنزلت سحب مظلمة معتمة على اجنحة الهيكل
 واستقرت على المدينة وكأنها سترتها بحجاب وكانت العلامات التى
 ظهرت فى السموات والارض هائلة مخيفة حتى صاح ديوناسيوس
 الارىوباغى قائلاً (اما أن يكون خالق الطبيعة متألم أو ان العالم آخذ فى
 التمزق) (١)

وفى الساعة الاولى من الليل خلعت ردائى ونزلت الى المدينة
 وتوجهت الى بوابة الجلجلة وكان قد قضى الامر وتمت الذبيحة وعادت
 الجماهير وان كانت هائجة ماثجة الا انه كان يلوح على وجوههم الكد
 واليأس واشتغال البال . لانه اعتراهم التحسر والفرح مما شاهدوه وكذلك

رأيت فرقتي الرومانية مارة وعليها الاكثاب وغطى رافع اللواء صورة النسر (وهي علامة وشارة الرومانيين التي تصور على اعلامهم) علامة على الحداد والنغم وكان بعض العساكر يمسون بعض الفاظ غريبة لم افهم معناها وكان البعض الآخريرون عجائب وغرائب تكاد ان تشبه الغرائب التي كثيرا ما أصابت الرومانيين بارادة الآلهة، وكانت تقف أحيانا زمر من الرجال والنساء ساكنين باهتين موجهين أنظارهم الى جبل الجلجثة منتظرين طرؤ أمر عجيب آخر

فرجعت الى كرسى القضاء كاسف البال كثير التفكير والبلبال ولما طلعت على السلام التي كانت لا تزال ملوثة بدم الناصري شاهدت رجلا هروما في حالة الاستغاثة والتوسل وكان خدغه جملة من النساء باكيات فالقى نفسه عند قدمي وبكى بكاء مرأ. ولعمري انه يوجعني ويؤلنى رؤية رجل هرم يكى فقدت له بطف يا أبى من أنت وما هي طلبتك فاجاب قائلا — أنا يوسف من ارماتا أتيت متعطفاً حضرتكم وأنا جاث على ركبتى ان تأذن لى بدفن يسوع الناصري

فقلت له قد اجبت طلبك . وفي الحال أمرت مانليوس أن يأخذ بعض عساكر معه ليلاحظ ويباشر دفنه لئلا يتعرض له أحد

وبعد أيام قليلة وجد القبر فارغا واذاع تلاميذ يسوع فى اطراف البلاد واكتافها ان يسوع قام من الاموات كما كان تنبأ

فبقى على القيام بهذا الواجب وهو ابلاغ جناب الامبراطور هذه

الحوادث المكدره وبناء عليه بادرت بتحرير هذا فى الليلة التي عقيت هذه المصيبة المفجعة . ولم انته من تحرير هذا البلاغ الا وبنغ نور النهار وفى هذا الوقت طرق أذن صوت امير يضرب نغمة (ديانا) فوجهت نظرى نحو بوابة قيصر فشاهدت فرقة من العساكر وسمعت من على بعد ابواقاً تضرب سلام القيصر فاتضح لى انها المدد الذي وعدتنى الحكومة الرومانية بأرساله و يبلغ عدده نحو الفى نفر من نخبة العساكر الذين مشوا طول الليل ليتيسر لهم الوصول بسرعة . فصرخت فاركا يدى : قد قدر بوقوع هذا الاثم العظيم ولا راد للقضاء : ولو وصدت العساكر البارحة لما حصل ما حصل ولكن هل نقول أن العساكر وصدت اليوم لمنع حدوث فعلة البارحة . فتبأ لهذا الدهر الغدار الذي يعيث بأحوال البشر، ولعمري لقد صدق ما صرح به الناصري وهو معلق على الصليب « قد اكمل »

ثانيا (المكتوب الثانى) (١) وهو صورة الحكم الذى نطق به

(١) جاء فى جريدة التابيت ما نصه : قد عثر مكاتنا المشتغل باستقصاء المباحث ولتنبيه عنها على صورة صحيحة من الحكم الذى أصدره يولطس لهنطى بالقضاء على المسيح بالموت، وجدها فى جريدة الكولينش ز يتونغ ولكونها بما تم كل مسيحى للوقوف عليها لما فيها من عظم الفائدة لضمها نص الحكم على المخلص الذى هو أهم حادثة جاءت فى متون توارىخ حوادث العالم أثرتا درجتها مشفوعة بالملاحظات التى جمعها جريدة لندرو الفرنساوية . وهالك ما قالته الجريدة التليانية تعلقا على هذا المكتوب : — ان هذا الحكم منقوش على لوح من النحاس الاصفر باللغة العبرانية وهلى جانبى هذه الكلمات (قد ارسل لكل سبط لوح مثل هذا)

« اما اكتشاف هذا اللوح فكان فى سنة ١٧٨٠ م بمدينة اكويلا من اعمال نابولى أثناء البحث عن الاثار لرومانية ونقى فيها الى ان وجده المدونون العلميون الذين

بيلاطس البنطى والى ولاية الجليل على يسوع الناصرى بالموت صلباً
وهالك نصه حرفاً بحرف :-

(فى السنة السابعة عشر من حكم الامبراطور طيباريوس الموافق
اليوم الخامس والعشرين من شهر آذار (مارس) بمدينة اورشليم المقدسة
فى عهد الحبرين حنان وقيفا - حكم بيلاطس البنطى والى ولاية
الجليل الجالس للقضاء فى دار ندوة مجمع البروتورين على يسوع
الناصرى بالموت صلباً بين لصين بناء على الشهادات الكثيرة البينة
المقدمة من الشعب المثبتة أن يسوع الناصرى (أولاً) أنه مضل يسوق
الناس الى الضلال (ثانياً) أنه يغرى الناس على الشغب والهياج
(ثالثاً) انه عدو للناموس (رابعاً) أنه يدعونفسه ابن الله (خامساً) انه
يدعونفسه ملك اسرائيل (سادساً) أنه دخل الهيكل ومعه جم غفير من
الناس حاملين سعف النخل

فلهذا يأمر بيلاطس البنطى كونيتوس كرنيليوس قائد المئة

راقبوا الجيش الفرنساوى حين انتشيت الحرب فى جنوب ايطاليا عطفاً عينا فى علية من
الخشب الأبنوس فى خزانة الامتعة الكنائسية بدير رهبان الكارثوزيان القريب من نابولى ثم
نقل هذا الاثر للجليل الى كنيسة كازيرنا وبقي فيها الى أن تصرح لرهبان دير
الكارثوزيان بنناء على طلبهم بحفظه عندهم جزء لهم على الضحايا لئى بذلوها للجيش
الفرنساوى فى ايطاليا وكانت ترجمته الى اللغة الفرنساوية حرفاً بحرف بمعرفة اعضاء اللجنة
العلمية وتحصر زينون على رسم هذا اللوح المذكور بألفين وثمانمائة وتسعين فرنكا . ومن
مطابقة الاسباب الواردة فى هذا الحكم لما هو وارد فى الانجيل يستدل على عدم وجود شبهة
تاريخية تنفى صحة هذا اللوح « أ هـ

الاولى ان يأتى يسوع المسيح الى المحل المعد لقتله وعليه أيضاً أن يمنع كل
من يتعدى لتنفيذ هذا الحكم فقيراً كان أو غنياً . وهالك أسماء الشهود
الذين وقعوا على تنفيذ هذا الحكم على يسوع المسيح .. أولاً - دانيال
روبانى فريسى . ثانياً - يوحنا زور بابل . ثالثاً - روفائيل روبانى .
رابعاً - كابيت . وأن يوتى به الى خارج مدينة اورشليم من باب
الطورانى (أهـ)

(تذييل) وجد تعليق على حكم بيلاطس على يسوع وهو صورة
ما قاله الذين تشاوروا على السيد المسيح فى مجلس الشورى . وهالك أسماء
الشهود بما فيهم بيلاطس البنطى وقيفا رئيس الكهنة :-

أولاً - يورام قال . من هو هذا العاصى الذى يستحق الموت
حسب الشريعة ؟

ثانياً - سمعان الابرص قال . لماذا يحكم بالموت على هذا
البار ؟

ثالثاً - سارياس قال . انزعوا منه الحياة انزعوه من الدنيا
رابعاً - ديارابياس قال . حيث انه هيج الشعب فيستحق
الموت .

خامساً - تيراس قال . فليطرح فى هاوية الشقاء
سادساً - ابتوليه قال . لماذا كل هذه المدة المستطيمة لم نحكم
عليه بالموت ؟

— سابعاً - يوشافاط قال . اتركوه فى السجن مؤبداً

ثامنا — سابس قال . ان كان باراً أو لم يكن فستحق كأس الموت حيث انه لم يحفظ شريعة آبائنا

تاسعا — بيلاطس البنطى قال . أنى برىء من دم هذا البار (١)

عاشراً — ساميشيل قال . فلنقاصه حتى فى المستقبل لا يكرز ضدنا

حادى عشر — اتياس قال . لا يجب الحكم أبداً على أحد بالموت ما لم نسمع أقواله

ثانى عشر — نيقوديموس قال . ان شريعتنا لا تصرح بالحكم على أحداً لم تؤخذ أولاً أقواله والاخبار عما فعل (٢)

ثالث عشر — فوطيفار قال . حيث ان هذا الانسان بصفته خداع فليطرد من المدينة

رابع عشر — رسموفين قال . ما فائدة الشريعة ان لم تحفظ ؟

خامس عشر — اهيارين قال . ان كان باراً أو لم يكن حيث أنه هيج الشعب بكرارته فستحق العقاب الشديد

سادس عشر — ريفاد قال . اجعلوه أولاً يعترف بذنبه ومن ثم عاقبه

سابع عشر — يوسف الرامى قال . ان لم يكن أحد يدافع عن هذا البارفاعار علينا

ثامن عشر — سوباط قال . الشرائع لا تحكم على أحد بالموت بدون سبب أكيد

تاسع عشر — ميزا قال . ان كان باراً فلنسمع منه وإن كان مجرماً فلنطرده

عشرون — رجبعام قال . نحن لنا شريعة وموجبها يجب أن يموت حادى وعشرون — قيافا رئيس الكهنة لليهود قد أنبأ قائلاً — لا تسمعوا منه شيئاً ولا تعتبروه والاجدر بكم أن يموت انسان واحد عن الشعب من أن تهلك أمه بأسرها . (انتهى)

ثالثاً — المكتوب الثالث هو صورة خطاب منسوب الى يوبيلوس لنتولس يقال انه كان معاصراً لبيلاطس وأنه كتب الى السناتس الرومانى ما نصه : — (١)

« أيها الملك بما أننى فهمت أنك ترغب معرفة ما أخبرك به اذ وجد فى وقتنا هذا الرجل يعيش عيشة فاضلة يدعونه رسول الفضيلة وتلاميذه يقولون أنه ابن الله خالق السماء والارض وكل ما يوجد فيها . بالحقيقة أن كل يوم نسمع أموراً عجيبة عن يسوع هذا فيقيم الموتى ويشفى السقاة بكلمة واحدة وهو معتدل القامة وجيل المنظر جداً ووجهه ذو هبة هكذا حتى أن الذين ينظرون اليه يشعرون بالغرام لأن يحبوه ويخافوه ، وشعر رأسه نازل لحد أذنيه منسدل على كتفيه ، وهويلون التراب اما يفوق عليه ضياء وفى وسط جبينه غرة كعادة الناصرين . أما جبينه فبسوط كثير الصفاوة ووجهه ليس فيه تجعد وعلامة البتة . وفخذه بغاية الاعتدال . وأنفه وفه لا يعبران بمحسن فى أحد ومنظره يفيض خشوعاً

وفرحا وعيناه كأشعة الشمس ولا يقدر أحد أن يحدق بنظره اليه من كثرة الضياء . وإذا وبخ أربب وإذا أنصح أبكى ويجعل الجميع يحبونه لأنه ذو سماحة وهيبة . ويقولون انه لم ينظر قط ضاحكا بل باكيا . وذراعه ويداها زائدة الجمال . أما بالاجتماعات فيرضى كثيرين ولكن ينظر اليهم نادراً وعند وجوده بينهم يجلس بغاية التهذيب ففى رؤيته وشكله هو أجمل انسان يمكن تخيله ومشابه بمقدار عظيم لأمه التى هى أجل فتاة يمكن مشاهدتها أو تشاهد قط بهذه الجهات

فيا أيها الملك أن رغب جلالتك أن تراه فاخبرنى لكى لا ألقاعد عن ارساله اليك سرىعا . لكنه بالعلوم قد أذهل مدينة أورشليم بأجمعها فيعرف كافة العلوم من غير أن يتعلم . وتارة يمشى حافى القدمين مكشوف الرأس كمجنون وكثيرون عند نظرهم اليه يضحكون منه . أما فى حضوره أو التكلم معه فانه يهرب وبذهل ويقولون أنه لم يسمع قط عن رجل هكذا فى الجهات والحقيقة مثل ما يقول لى اليهود انهم لم يسمعوا قط مشورات حكمة من أحد كمثل ما يعلم يسوع هكذا ، وكثيرون آخرون يتكلمون ويشتكون لى منه قائلين انه مضاد شريعة عظمتكم وترانى معنفا جداً من هؤلاء اليهود الاشرار ويقولون أنه ما أغاظ أحداً قط بل كافة الذين عرفوه وأخبرونى عنه يقولون انه حصل لهم منه انعامات وصحة كثيرة وفى كل الامور اننى مستعد لطاعتك ومن ثم كل ما تأمر به جلالتكم يجرى عاجلا » انتهى

(٤) شهادة يوسيفوس (١) المؤرخ اليهودى الشهير الذى كان

معاصرا للرسل وقد شاهد سقوط اورشليم فى حصارها الاخير كما أنبأ السيد المسيح . فهذا كتب فى تاريخه المعروف كلمة عن السيد المسيح خالية من شوائب الاغراض والغايات قال : —

« وكان أيضا فى هذا الوقت رجل حكيم اسمه يسوع . ان كان جائزاً أن يدعى انسانا . وكان صانعا عجائب كثيرة ومعلما للذين أرادوا أن يتعلموا الحق وكان له تلاميذ كثيرون من اليهود والامم . هو المسيح الذى اشتكى عليه رؤساؤنا وأكابر أمتنا ، وسلمه بيلاطس البنطى للصلب ومع هذا كله فالذين اتبعوه من البداية لم يتركوه قط وقد نظر اليه حيا بعد صلبه بثلاثة أيام كما كان قد تنبأ بعض الانبياء وصنع معجزات أخرى كثيرة ولم يزل الى يومنا هذا بعض الناس يدعون مسيحيين ويعترفون به رئيسا لهم » أهـ

فيتضح مما تقدم أن كثيرين من معاصرى السيد المسيح — حتى من أعدائه — قد شهدوا له وأقروا بألوهية وبعظمة أعماله واعترفوا بأنه أعظم من انسان وهم بيلاطس والى اليهودية و يورام وامتياس ونيقوديموس ويوسف الرامى وسوطاط من رؤساء وكهنة اليهود وبوبليوس لنتولس أحد ولاة الرومان ويوسيفوس المؤرخ اليهودى المشهور وشهادة هؤلاء تعد معتبرة للغاية لأنهم « ١ » من أكابر الامم وقتئذ « ٢ » لأنهم كانوا معاصرين له « ٣ » لأن منهم كثيرين كانوا يبغضونه ولكنهم اعترفوا رغما عنهم بصلاحيته وبرارته

تعاليمه وأسر القلوب بسلامل محبته وها نحن ذاكرين للقراء بعض أقوال أشهر العطاء في هذا الصدد :-

١ - شهادة نابليون (١) لما كان نابليون امبراطور فرنسا العظيم فى النفسى فى جزيرة القديسة هيلانة سأل صديقه مونتولون عن هو المسيح ؟ فلم يستطع أن يجبه . وكان الامبراطور يكثر فى منفاه من الكلام عن الامور الدينية وفى ذات يوم تكلم عن لاهوت المسيح فقال له الجنرال برتران الذى كان غير مؤمن ، وكان يكدر نابليون بالاستخفاف بالأمور الدينية :

« مولاي . اننى لا أدرك كيف أن رجلاً عظيماً مثلك يؤمن بأن الخالق الاعظم أظهر نفسه للبشر فى جسد انسان وله جسم وفم وعينان فليكن المسيح مهما شئت . أى قل انه أحق الناس وقلبه أظهر القلوب ومبدع أشهر وأصفى الشرائع وأعظم رجل خلق على الأرض من كل جهة فلا أعارض . ولكنه لم يكن غير بشر علم تلاميذه وأضل البسطاء كما فعل أورافوس وكونفوشيوس وبرهما (٢) وقد جعل نفسه معبوداً لأن سلفاه اليسيس وأوزيريس (٣) وجوبتير (٤) جعلوا أنفسهم بكبرياء معبودات . وامتيازه فى أزمانه كامتياز المعبودات الوثنية وأبطال القدماء . وما فعله من جر الناس وراءه وتغير حالة الدنيا انما هو ناشئ عن قوة العقل وتأثير نفس قادرة على التسلط كما تسلط كثيرون فى الدنيا بفتوحاتهم كالاسكندر وقيصرو مثلك أنت »

(١) من كتاب « تاريخ فرنسا الحديث » (٢) آلهة الصينيين والهند (٣) من آلهة المصريين (٤) معبود الرومان

الفصل الثالث

شهادة العطاء للمسيح بعد ظهوره

« الاعمال التى أنا أعملها باسم أبى هى تشهد لى » يو ١٠ :

٢٦

صعد السيد المسيح الى سمائه وترك على الأرض آثار سلوكه المقدسة وتعاليمه الصالحة فحدثت انقلاباً عظيماً فى العالم ، فى الآداب والعادات حتى انتقل العالم من حالة ملوها الشر والفساد الى حالة كنها قداسة وبر

ومع أن رئيس المسيحية مات كأحق الناس غير أن دينه امتد وانتشر فى كافة أصقاع المسكونة

هذا ما كان مدعاة لدهشة كثيرين من عطاء هذا العالم فأروا أنفسهم وحوهم الامم تشدهم والقوات تمزهم غير قادرين على مجارة ذلك الناصرى البسيط ومع أنه كان مجرداً من كل سلطة وخلوا من كل سلاح وهم ممدودون بالقوات المختلفة غير أن الفرق عظيم بينه وبينهم ، وأن مراكزهم تلقاء مركزه ليست الا كنقطة من بحر لذلك اعترفوا رغماً عنهم وأقروا وهم يصرون على أسنانهم بعظمة ذاك البار الذى أنار العالم بشمس

وتحلها أوفق حل وانجيله وظهوره وممكنه الروحية وتغلب تعاليمه على الدهور والامم — أقول ان هذه اسرار لا أقدر أن أفق على حقيقتها فانها تجعلنى فى حيرة لا أستطيع التخصص منها فهى سر لا أقدر انكره ولا ان اوضحه ولا أرى بذلك شيئاً بشرياً وكلما اقتربت منه وأطلت البحث عنه يزداد ارتفاع هذه الامور عنى وتبقى عظيمة وعظمتها عالية . ودينه الثام الحق لا ريب فى انه غير بشرى ، فترى فيه شيئاً اسلمياً عميقاً جاء بتعاليم واقوال لم تكن معلومة

« ولم يستعريسوع شيئاً من معارفنا وعيونا ولا نرى فيها ما يشابه تصرفه وحياته ولم يكن فيلسوفاً لانه تقدم بالمعجزات . وعبدته التلاميذ منذ البداية وألقى الايمان به فى قلوبهم بما يؤثر فيها تأثيراً روحياً ولم يلزمهم ان يقوموا لدروس ابتدائية ولا أن يتعلموا العلوم وديانته كلها مبنية على الايمان

« والواقع ان العلوم الفلسفية لا تجدى نفعاً للخلاص ولهذا جاء السيد المسيح الى الارض لاطهار أسمى اسرار الروح ونواميسها ولم يكن لتعاليمه علاقة الا بالروح وقد جاءها بانجيله والروح تكفيه ولم تكن لروح أهمية قبله فان السيادة فى الدنيا كانت للعادة والزمان وقد رجع كل شىء الى النظام بصوته وصار المحل الثانى للعلم والفلسفة وقد فازت الروح بالحصول على سيادتها وسقط كل العلم كبناء تهدم امام كلمة واحدة وهى الايمان فما أعظم السيد الذى يقدر ان يأتى بانقلاب عظيم كهذا وما انفذ كلمته فما هو ياترى السلطان الذى الزمنى ان اصله له وقد

ألزم الناس الايمان به ولم يتمكن انسان ان ينقض كلامه أولاً لان فى الانجيل اصفى الاداب ولان التعاليم الموضوعة فيه كأسرار انما هى اعلان الحق المتعلق بما هو موجود حيث لا تقدر العين ان ترى ولا العقل ان يدرك فمن ياترى هو الخالى من الاحساس الذى يكذب اخبار السائح الجسور الذى لم يتجاسر غيره الصعود الى القمم الثلجية ويخبر بعجايبها

« فالمسيح هو السائح الجسور والانسان يقدر ان يبقى خالياً من الايمان غير انه ما من أحد يتجرأ أن يقول لهذا ليس هو كذلك وفضلاً عما تقدم استشر الفلاسفة عن هذه التعاليم السرية المتعلقة بالانسان والدين فاذا يقولون ؟ واين هو العاقل الذى تعلم شيئاً من الطبيعة القديمة أو الحديثة حال كونها ليست الا آراء باطلة لا علاقة لها بمعيشتنا وامياننا

« ولا ريب فى ان الانسان يرى بقوة الفكر مفتاح فلسفة سقراط وأفلاطون على انه لا يدرك ذلك ما لم يكن طبيعياً و بعد طول الدرس سنين عديدة ، على ان ادراك المسيحية يتم بالقلب والايمان لانها ليست باوهام ولا هى تعليم طبيعى ولكنها قوانين ومبادئ سامية تسمو بالانسان وتعاونه على حل جميع مشكلات الحياة وفى الكتاب المقدس اخبار وقائع ورجال تاريخيين عرفوا بجلاء ووضوح احوال الزمان والابدية وليس فى كتاب دين آخر ما يماثل ذلك

« فاذا كان الدين الحقيقى يعذر الانسان اذا خدع به ولا يلزم فان كل شىء فيه عظيم يستحق أن ينسب الى الله تعالى وقد فتشت التواريخ دون أن أجدها شيئاً ليسوع المسيح والانجيل فلا أرى فى

التاريخ ولا الإنسانية ولا العصور ولا الطبيعة شيئاً أقدر اقباله او ان افسره به فان كل شيء فيه خارق العادة وكلها تأملت في الانجيل يزيد تأكيدى ان كل شيء فيه يفوق الحوادث والعقل البشرى والذين خنت قلوبهم من التقوى لم يتجاسروا ان ينكروا علو الانجيل الذى يوجد فيهم اعتباراً اجبارياً

« وما أعظم السعادة التى يحصل عليها الذين يعتقدون بصحته وما أكبر العجائب المسطورة فيه فهو كتاب مفرد يمد العقل فيه جلالاً أديا لم يكن معروفاً ، ومعرفته بالخالق تدل الخليفة عليها فن ياترى غير الله تعالى يقدّر ان يأتى بمثل ذلك بكمال اصلى خالص ؟

« ولم يكن للمسيح غير تلاميذ قليلين فحكم عليه بالقتل فمات بغضب الكهنة واحتقار الامة حتى ان تلاميذه تركوه وانكروه وقال انهم يأخذوننى قريباً ويصلبوننى واترك العالم . وأهم تلاميذى ينكرينى فى بداية قصاصى فأترك للاشرار ، وبعد ذلك يحصل العدل الالهى على كفايته وتمحى الآثام الاصلية بالآمى ويرجع اتصال الانسان بالله ويكون موتى حياة تلاميذى ويصبحون دونى مما هم وانا معهم لانهم يشاهدوننى مرتفعاً ثانية وسأصعد الى السماء وأرسل اليهم من السماء روحاً يعلمهم وروح الصليب يساعدهم على فهم انجيلي فيعتقدوا به ويعظوا به ويجلبوا العالم الى الايمان

« فهذا الوعد الغريب سماه بولس (حماة الصليب) هونوبة رجل صلب بشعاسة تم حرفياً وكيفية اتمامه ربما كانت اوسع دائرة من

الوعد نفسه ولم يفصل ذلك فى يوم ولا فى معركة فهذه حياة رجل ؟ الجواب . لانها حرب استمرت ٣٠٠ سنة بدأ الرسل بها وقام بها بعدهم خلفاؤهم واجيال نصرانية متتابعة وفى هذه الحرب اصطف جميع الملوك وكل قوات العالم فى جهة . ولا ارى جيشاً فى الجهة المقابلة ولكنى بالعكس ارى جهاداً سريعاً وافراداً متفرقين فى جميع اقطار الدنيا وليس لهم عصبية غير وحدة الايمان بأسرار الصليب الذى تسليح تلاميذه به وقالوا قد مات عليه المنة لخلاص العالم فهذه كلمات بسيطة غير انها اهاجت عواطف الاجتهاد حول راية آلام الرجل الالهى . ونرى من جهة غضبا شديداً وجميع مهيجات البغض والتعدى والانتقام . وفى الجهة الاخرى اللطف والشجاعة الادبية والتسليم غير المحدود ، واستمرت الروح تنازل وحشية الاحساس ٣٠٠ سنة والضمير يحارب الظلم ، والروح الجسد ، والفضيلة الفساد وجرى دم المسيحين انهاراً وكانوا يموتون وهم يقبلون اليد التى كانت تقتلهم مكتفين بالحجة التى كانت الروح تقيمها حال كون الجسد كان يسلم نفسه الى جميع العذاب وكانوا يقتلون فى كل مكان ومع ذلك فكان لهم الفوز فى كل مكان

« وقد ذكر قيصر والاسكندر وفتوحاتها والحمية التى كان يضرمونها فى قلوب عساكرهما ولكن هل تصدق ان رجلاً ميتاً يقدّر ان يقوم بفتوحات بواسطة جيش صادق وقف نفسه على سبيل خدمة ذكره ؟ وها جيوشى قد نسيتهن مع اننى لا أزال فى قيد الحياة . فهذه هى قوتنا والانتقال فى معركة واحدة كاف لسحقنا والضيقات تبدد شمل اصدقائنا . فهل تصدق ان قيصر امبراطور مجلس أعيان روميه الذى لا

يموت ذكره يقدر وهو فى اعماق قبره ان يسوس امبراطور يته ويحرس روميه فهذا هو تاريخ تغلب المسيحية على الارض وفتوحاتها فيها . وهذه هى قوة إله المسيحيين وهذه هى المعجزة الدائمة التى جاءت بتقديم الايمان وإدارة الكنيسة فالامم تنقرض والعروش تزل على ان الكنيسة باقية

« فها هى القوة التى صانت هذه الكنيسة التى لاقت صدمات الغضب الشديدة وعدوان قرون عديدة فأين الجيش الذى حى الكنيسة مدة ١٨٠٠ سنة من عواصف التعديات والاضطهادات المرة التى تهددها بالتدمير ؟ وكم من نقصان ترى فى حياة الجميع خلا حياة المسيح . فأى رجل لم تخضعه المواقف وأى رجل لم تكن الحوادث والامكنة ضابطاً لأعماله ؟ اما هو فلم يخضع لسلطة الازمنة ولا جارى عادة وميلاً . فانه لم يتغير من اليوم الاول من حياته الى آخر أيامه بل كان على الدوام جليلاً بسيطاً ثابتاً لطيفاً جداً

« و ينبغي ان تمتلئ الدنيا بالحق فالنصرانية هى الدين الفريد الذى يهدم اركان التعصبات الدينية و يعلن ان الجنس البشرى واحد وبعضه أخوة البعض الآخر . وقد تفرد بمراعاة الروحانيات فقط وبتعيين الاحضان الالهية فى السماء ميعاداً للجميع دون امتياز وقد برهن المسيح انه ابن الله الازلى بعدم اهتمامه بالوقت . فان تعاليمه كلها تتعلق بأمر واحد وهو الابدية ومن المحقق ان المسيح جعل فى ايماننا أسراراً كثيرة فانه يأمر كذى سلطان ، يأمرنا بان نؤمن بها دون ان يبين شيئاً غير واحد وهو كلام غفيف وصريح قائلاً (انا هو الله) وقد صرح بذلك وجعل بينه

وبين واضعى الاديان بوناً عظيماً فاذا كان غير صحيح فيكون قحة وكفرأ شنيعاً . واقول ان فوز ادعاء كهذا اذا كان غير صحيح يكون عذراً للذين ينكرون الله

« على اننا قد رأينا ان تعاليم المسيح المحفوظة بالاسرار مشابهة للطبيعة لانها ذات أسرار عظيمة . فان الانسان يقول فى نفسه من أين أتيت ياترى والى أين أذهب ومن أنا ؟ فالحياة البشرية أصلها سر فى نظامها ونهايتها ضئى الطبيعة كل شئ متعلق بالانسان و بغيره سر لا يدرك فهل يمكن ان يكون الدين غير سرى ؟ فالخليقة والدنيا سر لا قرار له وكذلك الخليقة ونصيب كل فرد . فالمسيحية لا تصرف النظر عن هذه المسائل المهمة جداً ولكنها تلاقيها بشجاعة وتعالييمها تحملها عند كل مؤمن

« وفى الانجيل فضيلة سرية واقتدار سرى وتأثيرهما يدخل القلب ويعزىه . والانسان يشعر بالتأمل به بما يشعر به عند التأمل فى السموات فالانجيل ليس ككتاب بل هو كائن حى ذو شجاعة وقوى تمكنه من التكلم على كل ما يحول دون امتداده (فانظره على هذه المائدة وتراه فوق كل الكتب) ووضع الامبراطور يده عليه بكل اعتبار وكلما يوم أقرأه وكلما قرأته التذبه ولا أرى فى غيره آراء حسنة كالتى فيه ولا تعاليم أدبية خارقة العادة تنتشر كجيش سماوى منتشر وتؤثر فىنا كتأثير السهاء عند التعزى فى ليلة صيف ذات نجوم صافية فتشغل افكارنا وتغبط أعمالنا . والنفس لا تفضل مادام هذا الكتاب دليلاً واذا تسلط الانجيل الامين على نفوسنا يصير المسيح محباً لنا و يصبح الله صديقنا والدنا و بالحقيقة الهنا . فالام لا نعتنى اكثر منه برضيعها

« وما أعظم الدليل الذى نستدل به على ألوهية المسيح فإنه أسس سلطة دينية عظيمة مطلقة ومع ذلك لم تكن له الا غاية واحدة وهى تحسين حالة الافراد الروحية وطهارة الضمير وقداسة النفس . وقد تكلم فصارت الامم فى كل الاجيال له بروابط امنن من روابط آدم وهى أقدس الرباطات وأبعدها عن الانحلال . فانه يضرهم فب حب يحرق به حب الذات ليقيم مقامه المحبة الطاهرة لجميع الناس سواء اصدقاء او اعداء . ولا ريب ان اعظم معجزات المسيح هى غلبته على حب الذات وجعله السيادة للمحبة الطاهرة العامة

اما انا فقد القيت فى قلوب الجماهير حية جعلتهم يرفضون بأن يبدلوا حياتهم فى سبيل خدمتى . وحاشا لى ان اقابل حية الجندى بالمحبة المسيحية فانها متباينان بالذات والعلة . على ان وجودى كان لازماً لالتقاء الحمية فى قلوب العساكر بمشاهداتهم نور عيني واستماعهم صوتى وكلمة مهيجة من فى ، هذه هى الوسائل التى كانت تضرم نيران الغيرة فى قلوبهم . وأنا حاصل فعلا على تلك القوة السرية التى تشبه قوة السحر وهى التى ترفع النفس . غير انى لم اكن قادرا ان اجعلها متصلة بالآخرين لوم يقتبسها عنى احد قوادى ولا قدرة لى على تخليد اسمى وحبى فى القلوب دون الوسائل الطبيعية . فقد صرت الآن فى المنفى منفرداً مقيداً وليس من يحارب عنى او يفتح البلاد بأسمى وليس لى من يخدمنى فى ضيقى أو يذكرنى او يحترمنى فى بلادى وقد تركنى كل اصدقائى الا ثلاثة قد خلدت الامانة والصدقة اسماءهم وانت قد شاركتهمونى فى النفى والضيق وفيكم تعزيتى

« حياتى لقد لمعت مرة بعظمة التاج والعرش ثم انطفاء هذا النور اللامع كما تنكسر اشعة الشمس على قصر الانفاليد المعلقة بالقرب منا . على ان المصائب قد دهمتنا واخذ لمعانا يزول وسوء الحظ الذى وقعت فيه مع الإهانات التى تلحق بى كل يوم جعلت ذلك للمعان ظلاماً حالكا فصرنا رصاصاً بعد ان كنا ذهباً وحجارة كريمة وبعد برهة ابيت فى القبر . هذا هو نصيب الرجال العظماء وهكذا كان نصيب اسكندر وقيصر وكذلك انا . وقد بتنا جميعنا فى زوايا النسيان ، و يصبح اسم الفاتح الامبراطور من المواضيع التى تشغل الطلبة فيها بالمدارس وتكون اعمالنا مواضيع يجعلها الاساتذة وسيلة لتعليم تلامذتهم فيشغلون انفسهم بمدحنا او بالتبديد بنا . تأمل بما يطرأ على . اننى اموت قبل اوانى الطبيعى فهذا هو نصيب الرجل المعروف بنابوليون العظيم

« فما اعظم الفرق بين شقائى العظيم وملك المسيح الابدى الذى لا يزال اسمه معلناً ومحبوباً ومعظماً وهو ملك لا يزال منتشرأ فى جهات العالم الاربع . أهذا هو الموت ؟ أليس هو الحياة ؟ فمت المسيح هو بلا ريب موت معبود . فاذا كنت بعد هذا لا تدرك ان المسيح اله اكون قد أخطأت حين جعلتك قائداً من قواد جيشى » انتهى

(٢) شهادة روسو (١) فاه بها عند ما تأثر من قراءة الاسفار

(١) جان جاك روسو كافر مشهور فرنسى من ارباب الاقلام فى القرن السابع عشر قال عنه نابليون « اكبر مؤثر للثورة الفرنسية كتابات روسو »^أ

الالهية وشعريتها وسطوتها على القلوب قال - انسى مقرباً جلال الاسفار الالهية يشحذ عقلى وقداسة الانجيل تناجى قلبى ولها فيه وقع شديد . الا فتصفح كتب الفلاسفة وما فيها من الفخامة والبداة . فاين هى من الانجيل فانها دون منه مكانة ومنزلة . فهل يتأتى لبشر أن يجيء بكتاب من مثله تسمو به فخامة المعانى وتوطئة سذاجة الكلام والمباني . أبشر من اوحى فيه بترجمة سيرته ام فوق البشر . ام هل اسلوب الكلام المودع فيه اسلوب مبتدع خبيث طماع كلا فانه صاحبه . ما اللطف آدابه واطهرها والله كلامه ما اسلسه واشد وقعة فى القلوب ما اسنى حكمه وما أبدع حكمة كلامه ما احضر فكرته وذاكرته وما ادق اجوبته وانسبها للمقام !

« هذا وناهيك عن تلك النفس الالية ما املكها للشهوات وابعداها عن الشهات . فإى الناس بل اى الحكماء عمل وتجشم المشاق وتحملها وذاق غصص المنون من دون ان يرى من نفسه الضعف ان يستغفره التيه والعجب . ان افلاطون تصور باراً ومثله لنا رجلاً أوقرت اوزار الاثم وهو اهل بكل مكافئة الفضيلة وجزائها فاذاً هو يمثل لنا بذلك حرفاً بحرف يسوع المسيح فان بين المسيح وبار افلاطون شياً كبيراً حتى اقر واعترف به كل الآباء واستحال الانخداع فى شأنه فما اعظم اوهام من شبه ابن سفرونسك بابن مريم وما احق به بل ما اقبح سريره فشتان ما بينهما

« مات سقراط ولم يحسه عند احتضاره كبير أذى ولا لحقت به اهانة سهل عليه ان يحفظ نفسه ويبقى على فطرته الخلقية ولو لم تسعد

حياته بالانقضاء بمثل تلك الميتة لوجدنا سبيلاً الى الشك فى ان سقراط مع انه كان ذا ذكاء رائع الا انه لم يكن الا سفسطياً . قيل ان سقراط بدع علم الادب . وقوم من قبله قد انجزوه فعلاً وعملوا به فكان اجل ما عمل انه روى ما مضى عليه وعلم بأقواله ما مارسه الناس اعمالهم . لقد بر اريستدس فعالاً من قبل ان يولد سقراط وبين ما البر؟ وفدى لاوينداس وطنه بنفسه من قبل ان يقول سقراط ان حب الوطن ضرب من اللزوم . واكتسى اهل اسبرتا ثوب العفاف والقناعة من قبل ان يشي عليها سقراط . وقد غصت بلاد اغريقية آنام فضلاً من قبل ان يقول سقراط ما هى الفضيلة

« اما يسوع فقل ناشدتك الله عمن اخذ من قومه مبادئ تلك الآداب الجليلة النزهة التى علمنا اياها باقواله وجعلها بافعاله مثالا نفتدى به ؟ فان حكمه سامية رائعة قد اشرقت انوارها من خلال ظلمات التعصب المدلّمة . وكان الفضائل الحسنى الجليلة صبت الى اذل الشعوب مكانة وحطت عنده عصا الترحال . فوت سقراط مطمئناً بين صاحبه وهو يفاوضهم كان أنما ما يتمنى المرء من الميتات أما موت المسيح بين اوجاع تتنازعه وشتائم تتناوبه وهزه تطارده جيوشه ولعنات يرشقه باسهمها قوم طغاة فكان شر ما يعاف الانام من ضروب الحمام

« ولما تناول سقراط كأس السم الزعاف شكر على من قدمها اليه وهو يبكى . وبينما كان يسوع واقفاً تحت عذاب شديد حاد كان يصلى لاجل اعدى قاتليه فلعمرو الحق لئن كانت حياة سقراط وموته حياة عاقل وموت حكيم فحياة يسوع حياة الله وموته موت إله » أه

(٣) شهادات طائفة من العظماء : قال فورفر يون الفيلسوف الوثني : « كان يسوع رجلاً تقياً صعد إلى السماء لأنه كان محبوباً عند الالهة » أه

وقال ستروس العالم المشهور (وهو من منكرى الوحي) : « كما يصغر شأن الانسانية بلا دين كذلك يقل قدر الدين بدون المسيح فهو الباقي الى الابد عنوان الدين الاسمي ونموذج الكمال المطلق ولا سبيل للحصول على التوى الحقبة بدون حضوره في القلب » أه

وقال رينان العالم الفرنساوى (استرج الآن في مجدك أيها المؤسس الشريف فقد انتهى عملك وتأييد لاهوتك وليس بينك وبين الله فرق) أه وقال أيضاً : (ان لم يكن المسيح الها فوجب ان يكون الهاً عند الصليب لاجل صفحه لاعدائه الالءاء) أه

وقال تولستوى الفيلسوف الروسى : (ان المسيح برهن على الوهيته بسلوكه اكثر مما بتعاليمه ومن ذلك انه قهر الشيطان وزجه فى اعماق الجحيم بقوله الاخير على الصليب (يابته اغفر لهم لانهم لا يعلمون ما يصنعون) أه

قال الفيلسوف ستورت مل : (لو امكن للانتقاد العقلى ان يجردنا من كل حقيقة فلا يمكنه ان ينزع منا حقيقة المسيح فهو الصورة المفردة التى تبقى عديمة التغير) أه

قال بينوزا : (كان المسيح هيكل الهى لأن فيه اعلن الله نفسه اعلاناً كاملاً) أه

قال الفيلسوف ليكى (١) (كان للمسيح نفوذ لم يسمع عن مثله من ذى قبل حتى انه والحق يقال عمل بتاريخ حياته البسيط فى مدى الثلاث سنوات التى قضاها على الارض على تجديد الجنس البشرى ورفع شأن الانسانية ما لم يكن فى استطاعة جميع الفلاسفة بكل مساعيهم وجهودهم اهل الادب بنصائحهم ان يعملوا شيئاً منه) أه

وقال العلامة نوح اليهودى (أى حق لمن يدعونه دجالاً ونحن نرى اكثر من ١٥٠ مليوناً يعتقدون بالوهيته (٢)) ومن حولنا ادلة لا عدد لها عن السعادة والايمان والحكم الصحيح والاحسان الحى العامل للخير الذى ينبعث من ديانتهم ولا مشاحة اذا قلنا ان الذى صير الجنس البشرى عظيماً سعيداً لا يمكن أن يكون كاذباً فى دعواه) أه

وقال الربى روفائيل وهو عالم يهودى ايضا (لقد سمعتمونى ادعو يسوع معلم الناصرة العظيم لذلك يلزمنى مع كل اليهود ان تقوم بواجب الاكرام له لأنه ليس من يهودى له قليل من العقل ينكر بأن التعاليم التى علم بها باسمه كانت من أقوى الوسائل لترقية العالم إلى ما بلغ اليه من

(١) الفيلسوف ليكى من اشهر الكفار

(٢) « هذا كان عدد المسيحيين فى القرن السابع عشر اما الان فبلغ نيف وخمسمائة مليون فى العالم اجمع مع الازدياد المضطرد) أه

الشأو الرفيع من ذرى التمدن وارجاعه من ظلام الوثنية الدامس . ومن اعظم الاسباب لاذاعة الكلمة الالهية بين الامم ولا انكر ايضا عظمة جهل الذين حكموا عليه بالموت وقتلوه » أهـ

وقال العالم بولنجيرونك : « ان نظام الديانة التى أنشأها المسيح وأذاعها يودون أصولها الرسل تام لا نقص فيه يقوم بمطالب الدين سواء طبيعى أو موحى به . والدين المسيحى كما هو فى الانجيل لا يحتوى على نظام كامل للدين فقط بل وصريح ايضا . والانجيل عبارة عن درس مستمر لأدق انواع الآداب والعدانة والاحسان والمحبة العامة كيفما اختلفت الاحوال » أهـ

قال جيسون المؤرخ والكافر المشهور « لا خلاف فى ان الدين المسيحى هو الدين الذى نشر بين الناس نظام الآداب التقى العام الموافق لكل أدوار الحياة والمطابق لارادة وحكمة الاله العظيم ومؤيد بتصديق الثواب والعقاب » أهـ

وقال اللورد بيرون الشاعر الانكليزى الكبير « ان كان الله صار انسانا أو الانسان الها فالمسيح كان الها وانسانا معا : وأنى لم أظعن فى تعليمه قط ولن أمسه باعتراض ولكن أشكومر الشكوى من اساءة الناس لاستعماله واهانتهم برداءة سيرتهم » أهـ

وقال توماس باين العالم المشهور « ان المسيح دعا الناس لممارسة الفضائل الأدبية والاعتقاد بالاله الواحد وكان فاضلا ودودا . والآداب التى علم بها ومارسها كانت من أسمى أنواع الفضيلة » أهـ

وقال أيضا العلامة رينان المذكور : « ان الله فى الدين المسيحى أكثر من أى نظام دينى أدبى آخر . ولا ريب فى أن المسيحية هى دين الشعوب المتمدنة وكل امة تقبلها بمعناها الادبى بنسبة درجة تهذيبها العقلى . فلنحافظ اذاً على المسيحية بمزيد الاحكام والاعجاب من أجل سمو قدرها الادبى وتاريخها العجيب ومؤسستها الطاهر وجمال كتبها المقدسة ومدنيتها الصحيحة » أهـ

الباب الثاني

فضل المسيحية

ها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب . انه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب » (لوقا : ١٠ : ١١)

ان الانسان قد تمتع قليلا بالسعادة في الفردوس لأنه كان متحداً بالله ولا شك ان الشركة مع الله تولى الانسان سلاماً واطمئناناً غير أنه ما لبث قليلاً حتى وقع في خطيئة التعمد فقصت على سلامه قضاء مبرماً وتوجس قلبه خوفاً ورعباً لأن الخطيئة قد اورثته الجبن والرهبنة اذ الشر منبع الخوف ومذهب للسلام . فبعد ان كان الانسان يسر جداً بملاقة العبدى و يستهيج بمخاطباته العذبة صارت تجلياته تعالى من أروع المناظر لديه حتى أنه لم يشعر بوقع خطوات الرب في الفردوس إلا واثابه الذعر فخفق قلبه جزعاً وقشعريرة فولى الادبار ليختبئ بين الاشجار لعلها تستر عنه منظر جاحله وأصبحت حالته كشفى قد أرهته رؤية الحكم

وما عثم أن طرد من الفردوس حتى شهرضه سيف الكروبيم المتهيب المتقلب فكان ذلك مبدأ الخصام بين الانسان وجاحله ثم بعد ذلك ازداد الوبال بما قدمه الانسان من العصيان والتمرد المتوالى فحمى وطيس الحرب بين الله القدير والبشرية الائمة فتخلص ظل السعادة وسادت

الرغوب وتنكد الضمير وصار القضاء الالهى يتهدد البشرية من وقت الى آخر بالاحكام الصارمة والعدل ينفذ احكامه فيها فانهمرت المياه الجارفة واغرقت البشر ولم ينج من هؤلاء الا ثمانية اشخاص في سفينة ومن هؤلاء تكونت نواة الهيئة الاجتماعية مرة أخرى

هذا ووصف اجمالى لحال الانسان قديماً حينما سلبت منه السعادة ولم يعرف لها طريقاً ولا مكاناً بل كانت العدالة الالهية تقتص منه في أوقات كثيرة على اساليب متباينة تارة بالماء وأخرى بالنار وكان يظهر من خلالها ان الطبيعة فى أشد التهيج ضد الانسان الآسيف ثاراً لالهها وغدت الظهورات الالهية من مجليات الروح والاضطراب وموجبات الحشية والرهبنة حتى امست كأنها نذير الموت الاحمر

الفصل الاول

عجز الشرائع عن تخليص الانسان

لما ساء حال الانسان اذ كان خلواً من كل شريعة لا شريعة
الذهن أو الضمير أراد المولى أن يسن له شريعة يسير بموجبها حتى « وقت
الاصلاح » (عب ٩ : ١٠) فوضع على قلبه رقباء ووسطاء لكي يحفظوه
من الشر والخطية فوضع أولاً ناموساً صالحاً وصايا طاهرة اذ سار بموجبها
لا تنزل قسمة ولا يتكدر ضميره ولكن هذه النواميس والوصايا أنقمت
كاهله بالذنوب لأنها كانت ممزوجة بتوعيدات رهيبة وعقابات صارمة حتى
من هو لها صرخ موسى قائلاً « أنا مرتعب ومرتعد » فأمسى الانسان يأتي
الشر ويرتكب الاثم فيضاعف عقابه ويصير عقابين عقاب فعل الخطية
وعقاب تعدى الوصية . وثاني رتبة المرسلون والأنبياء ولكن هؤلاء أنفسهم
لم يستطيعوا أن يحفظوا ذواتهم مما حذروا الناس عنه لأنهم من البشر الخطاة

ومع كل ذلك كان الخوف يمتلك كل قلب فما كان احد يجسر
على الدنو من قدس الاقداس بن امسى الانسان واقعاً تحت قلاقل الريب
وعوامس الشد . ألا فاذكروا نبأ ظهور الله على جبل سيناء فكم كان ذلك
باعثاً على الخوف والرعب محاطاً بما من شأنه أن يولد الفزع والاضطراب
اذ كان الجبل مضطرباً بنار تميد من هنا ومن هناك بحالة مخيفة والدخان
يتصاعد كضباب كثيف والرعد يهزم كأنه يتوعد بشر مريع والبرق يومض

كأنه ينذر برشق البشر بسهامه الذريعة والوق يزعج بصوات مرعبة حتى
رسخ في ذهن ان الهول في القرب من الله لاسيما والله نفسه قد صرح
« ان الانسان لا يرانى ويعيش » خر ٣٣ : ٢٠ كما قال منوح لامرأته
« نموت موتاً لاننا قد رأينا الله » قض ١٣ : ٢٣ فكل تلك المخاوف قد
ازالت السعادة والطمأنينة . زد على ذلك ان الشريعة كانت صعبة لان
كلام الناموس كان شديداً « استعفى الذين سمعوه ان تزداد لهم كلمة
لانهم لم يحتملوا ما أمر به » عب ١٢ : ١٩ و ٢٠ والطوقس كانت كئيب
ثقيل « لم يستطع آباؤنا ولا نحن ان نحمله » أع ١٥ : ١٠ وخيفة جداً اذ
كنت ترى السكين ابداً منتضة ومتعشة لسفك الدماء ، والنار تنقض
يوميماً على الذبيحة فترمدها فكل هذه الامور كانت تدل بصراحة على
تلاشى السلام بين الله والبشرية الاثيمة ولم تكن كافية ان تريح ضمير
الانسان وترقى نفسه وتطمئن قلبه

هذا من جهة الشريعة الموسوية وهكذا قد ظهر عجز الشرائع
البشرية الأخرى فان الفلسفة اليونانية التي بلغت شأواً عظيماً في التقدم
في وقت لم يكن احد يهتم فيه بالعلوم والفنون لم تصل الى تلك الغاية
العظمى التي يرومها الانسان وهي السعادة وراحة الضمير ، فان اساطين
تلك الفلسفة انفسهم عجزوا عن اراحة ذواتهم فكيف يستطيعون ان يريحوا
ضماير الناس ؟ واليك بعض شهادات من اقوالهم تدل على ظهور عجزهم
واقرارهم به :

وقد علم سقراط المدعو شيخ الفلاسفة وامام اهل الحكمة ان الله

غير ممتاز عن العالم وامر عند موته ان يضحى نديك كان عنده الاسكو
لاييون (١) مع انه اعتبر شهيد التعليم بوحدانية الله

وافلاطون المدعو المعلم الالهى جعل الله بمنزلة النفس للعالم
واعتقد بالتناسخ واباح قتل الاولاد القبيح المنظر «ارسطو» علم تكون
المادة ابدية وارباب بخلود النفس . (فيثاغورس) اوجب عبادة النجوم
ودافع عن التناسخ . قال صولون (ان قصد الالهة مكتوم تماما عن البشر)

قال سقراط ان كل معرفة صحيحة عن الالهة هي من الالهة وقال
ايضا عند موته « ارجو أن أكون منطلقا الى اناس صالحين ولكن لست
اريد أن آخذ على نفسى تثبيت هذا الامر»

قال افلاطون « ليس لنا أن نعرف الحقائق الا من الالهة أو من
أبناء الالهة وليس من وسيلة لمعرفة ارادة الالهة الا بنبي يعلنها لنا »

قال شيشرون « ان كل الأشياء محاطة بظلمة دامية تسترها
حتى لا تقدر قوة عقلية أن تستكشفها » وهذا ما حدا بالفيلسوف سنيكا
أن يقول « ان الخلود شيء مشتهى جداً ولكنه موعود به أكثر مما هو مثبت »

قال أرسطو عند موته « لقد جئت الى هذا العالم عريانا وعشت
فيه شقيا تعيشا وأموت الآن في حيرة لأتئى لست أعلم الى أين مصيرى

(١) كلمة يوبانية معناها إله الطب

وانتهائى ، ولكن أنت ياموجد كل الموجودات وعلة العلل ترأف على
وارفق بى »

هذه بعض من اعترافات كبار الفلاسفة وأعظم اهل العلم
وكلها تدل على انهم عاجزون عن معرفة الحق ، بل ضلوا ضلالا فظيما
واضطروا الى الاقرار بالضعف والقصور

واذا تأملنا اعتقادات الامم الأخرى الوثنية لاسيا فى ما يختص
بخلاص النفس من ربة الاثم وجلنا الوسائط التى يستعملونها لذلك
تافهة لا تروى لهم غليلا ، وباطلا يقومون بها فن ذلك حينما يشعرون
بالتعب من خطاياهم يشير عليهم الكهنة باحتمال الالام المتنوعة لا
للحصول على التبرير وانما يرجون رجاء باطلا بأنهم يرضون آلهتهم
فيغفرون لهم خطاياهم . فترى الكهنة تارة يأمرون الشعب بالسير حول
المياكل لابسين أحذية فى نعالها مسامير حادة الرؤوس حتى اذا تحركوا
تنخس أرجلهم وفى كل خطوة يخطونها يتألمون من تلك المسامير ويخرج
الدم منها ، وطورا يأمرونهم فيضطجعون أياما وأسابيع أو أشهراً على فراش
مغطاة بمناخس من حديد ضخمة الرؤوس وأحيانا يلزمونهم بأن يثقبوا
السنتم ويدخلوا فى الثقب قضيبا .

قال الدكتور نيوتن « وهناك قدام المياكل سفالة يكون علوها
طبقتين أو ثلاثا وعند أسفلها توضع على الارض اكياس صوف مسطحة
فيها مسامير حديدية ومن يريد من الشعب أن يرضى الالهة ويحصل على

غفران الخطايا يؤمر بأن يصعد على تلك السقالة و يقف على طرفها
و يطرح نفسه فيسقط على تلك المسامير والجمهور العظيم واقف لمشاهدة
المنظر. وحالما يسقط أولئك المساكين على تلك المناخس الذريعة المؤلة
يصنفق الجميع بأيديهم ويرتفع ضجيجهم وصراخهم الى طبقات الجو
كأنهم يرون أمراً مفرحاً

والخلاصة أن كل الوسائط التى استعملها الانسان لتطمين
خاطره وراحة فكره لم تجده نفعاً وقد غدت بلا طائل لولا ظهور الديانة
المسيحية التى أتت بالمطلوب وقضت ما هو مرجو ومرغوب . وقبل ظهور
هذه الديانة كانت جميع الطبيعة البشرية تصرخ الى السماء ولسان حالها
يقول « انه وقت عمل للرب قد نقضوا شريعتك » مز ١١٩ : ١٢٦ فكان
جوابه تعالى فى جميع تلك التجهيزات التى أقامتها عنايته « قريب برى .
قد برز خلاصى » أش ٥١ : ٥

الفصل الثانى

العالم والمسيحية

فى سنة ٤٠٠٤ للمخلقة ولد السيد المسيح وفى ليلة ميلاده طافت
ملائكة السماء بقيائيرها الشجية تهنىء أهل الارض قائلة « ها نحن
نبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب . انه قد ولد لكم اليوم فى مدينة
داود مخلص هو المسيح الرب » (لوقا : ١٠ : ١١)

ولا عجب من قولهم هذا لأنه ميلاد المسيح كان قد حان الوقت
الذى فيه تنزل الظلمة الروحية الداجية التى غطت الارض مدة اربعة
آلاف سنة والذى فيه يسحق رأس الحية العتيقة أى ابليس وبنادى
للاسرى بالاطلاق والحرية وللعمى بالبصر ويسهل الطريق لنوال المغفرة
والسلام لجميع بنى البشر . وأيضاً كان قد قرب الميعاد لظهور واثبات
الحقيقة الجليلة وكشف السر المكتوم منذ القديم اى الطريق التى بها
يصفح الله عن الخطاىء بمجرد رحمته اكراماً للمسيح بدون أن يناقض
أحكام عدله وقداسته وكان الخلاص العظيم مزعماً كذلك أن يظهر ويتم
حقيقة وفعلاً لا بواسطة رموز وكتابات مبهمه . والمعرفة بالله وبشريعته
التي كانت منحصرة فى أمة اليهود كانت عتيده أن تنتشر بين سائر
الشعوب والامم على وجه الارض كلها

وقد بث السيد المسيح تعاليمه فى نفوس تابعيه الاثنى عشر وهؤلاء جالوا يكرزون بها وأتوا بواسطتها أعمالا تعد من المعجزات فازالوا الجهالة واستبدلوها بالعلم ورفعوا الدين الالهى النقى فوق الاديان الباطلة بعد أن اماطوا اللثام عنها فاستحلوها وأفرغوا جهودهم فى مقاتلة اعداء الدين والحرية والعلم فرجعوا فائزين منتصرين وعلموا الناس مبادئ الدين والشرف بما أثار الخافقين

ولا ريب ان هذا التعليم الجديد قد عمل على تغيير الانسانية تغييراً كلياً وكان من أثماره أن اطعمت القلوب الخائفة وسكنت الافئدة الواجفة وهدى الضمير المروع وأدرك الانسان أصل وجوده وغايته ومصيره ، الامور التى بحث عنها الفلاسفة طويلا ولكنهم عجزوا عن ادراكها فلم يمكنهم أن يخبروا عن صفات الله بأجلى بيان ولم يكن لهم أن يؤكدوا للناس غفران خطاياهم لان الطبيعة لم تعنم بذلك وكل النواميس البشرية عجزت عن ارشادنا الى الكالات الالهية ووصف الحالات التى تكون بعد القبر وعقيب نهاية العالم ولم تستطع أن تخبرنا عن الخلود الابدى ويصح فى هذا قول هيوم الكافر الشهير: « ان الديانة فى كل ابوابها لغز وسر لا يحل ، وجل ما نحصل عليه من أدق البحث عن هذا الموضوع هو الشك وعدم التاكيد والتوقف عن الحكم » ويمثله قول الرسول « ان العالم لم يعرف الله بالحكمة » (١ كور ١ : ٢١)

ان الديانة المسيحية هى الديانة الوحيدة التى تفضل بها الله على بنى البشر قانونا للحياة قاضيا بها على الجهالة فهى مرشد لنا فى هذه

الحياة تعلمنا كيف نحيا ونعيش البر وكيف نسلك مع المسيح وكيف نعبد الله

ومن المحقق الذى دل عليه الاختبار ان كتب اهل الاديان الاخرى لا تؤدى بأصحابها الى شيء مما يدلنا كتاب المسيحية اليه . فأى كتاب منها يسكن روح الخاطئء من هون الحساب وأى منها يستميل القلب والحياة ويعد لهساء طاهرة لا تدخلها الشهوات ولا تقوم حولها الاناس . يسكن فيها جماعة المخلصين الذين نالوا الحرية الكاملة الخالية من كل عيب وذنس ونقص الى غير ذلك مما هو مخالف لطبيعة الله الكلى القداسة . فتلك الاديان لا تدل على طريق الخلاص من الخطية ولا كيفية احراز القبول لدى الله بل تغادر الانسان بدون أن تروى له غليلا

وإذا أردنا أن ندرك فضل المسيحية فيجب علينا أن نلقى نظرة على حال العالم قبل ظهور هذه الديانة فقد أخبر مؤرخو ذلك العصر أنه لما أتى المخلص له المجد الى العالم كان العالم فى حالة الغباوة والشر . وكان الجميع خلا الاسرائيليين عبدة أصنام وحياتهم كديانتهم مملوءة فسادا وشرأ اذ لم يكن لهم رجاء ولا إله حسبا قال عنهم بولس الرسول فى (٢ : ١٢)

وتاريخ تلك الازمنة يشهد بأن الناس لم يكونوا يعبأون كثيراً بالشر ويظنون أنه أمر فظيع بل كانوا يمارسون كل انواع القساوة التى تملأ الانسان نفورا وكرها بل كانوا يتوهمون ان فى ارتكاب المعاصى ارضاء

الآلهة . لهذا كانوا يطلبون من الآلهة أن تساعدتهم على السرقة والكذب والفسق وغير ذلك

وحتى البلاد التي كان لها قسط وافر من المدنية والعلم كرومية وبلاد اليونان لم تخل من امثال هذه المتكررات بل فشت بينهم العبادة الوثنية وآلهتها التي كانت لا تترحسب عرفهم الا بسفك الدماء وتضحية الاجساد الطاهرة والنفوس البريئة على مذابح الشر والفساد فسفك الاباء نفوس الابناء وقتلت الامهات بناتهن أمام تلك الاحجار الصوانية التي لا تشعر ولا تحس ، وهكذا كنت ترى الرجل في خيفة من زوجته واولاده حتى ارتفعت الفلاسفة وخافت العلماء من ان تقضى هذه العبادة الباطلة على حياة الجنس البشرى ، لكن والحالة هذه ظهرت الديانة المسيحية فغيرت نظام العالم من هيئة منحطة في الآداب الى هيئة سامية سماوية وقضت على تلك الفظائع وازالت الرذائل واجلست على عرشها الفضائل فساد الامن وعم الاطمئنان

قد احدثت المسيحية تأثيراً عظيماً في العالم لانه حيث تغلبت وقبلت باعتبار عظيم ورسخت تعاليمها بايمان وطيد وامتثلت أوامرها افادت الهيئة الاجتماعية ورفعت شأنها وجعلت احوال البشر افضل مما كانت عليه قبل دخولها بينهم

ذلك هو فعل الدين المسيحي ، الدين الذي اتى من السماء ووضع اصوله ابن الله وتأييد بالآيات الباهرة والمعجزات القاهرة وصحت فيه النبوات الظاهرة وثبت بدم المسيح ورسله الذين ماتوا نصرة لحقه وبانت

قوته في انذين جاهدوا بحقائقه مقتحمين غمرات الموت باشكال العذاب مستهلين الاستشهاد على ترك الايمان به

الدين المسيحي هو أقوى أساس يبنى عليه التهذيب الحقيقي والارشاد الكامل الى سبل الحياة وطريق الاستقامة ، وعلى اعمدته تشاد دعائم الفضيلة والآداب العالية وبه تستضيء افكار الحكماء والعلماء وتستتير أذهان الجهلاء والبسطاء

الدين المسيحي هو الدين الذي انشأ في الوجود انسانية جديدة لم تكن قبل ظهوره . هو الذي علم الناس مبادئ الشرف والعدل وهو الذي ارشدهم الى طريق الخلاص بالمسيح يسوع ليكونوا آمنين وقت الموت وسعداء في الابدية وذلك للأسباب الاتية :

(١) لسمو تعاليمه . أجل أن بين البشر فلاسفة محنكين وعلماء مدربين تكلموا بأقوال نفيسة ونطقوا بحكم معتبرة جديرة ان يتمثل بها الانسان في كثير من الظروف المختلفة ولكنهم لم يحيطوا علماً بدائرة الاختبار الكافي ولم يتوصلوا الى درجة بها يعرفون الدواء الشافي للعلل الكثيرة التي تنتاب الشر وان كانوا قد علموا بعض الصفات الواجب الاتصاف بها ولكن قانونهم القاضي ببقاء الانفع يقول « بامانة العجزة والشيوخ ومن لاقدرة له على الاتيان بفائدة » ولذلك لم يستقيح افلاطون قتل كل مشوه الوجه ، ومن هذه الشريعة عمد اهالي اسبرطة الى قتل كل طفل يولد ضعيف البنية على حجر أمه . ولكن الدين المسيحي تمتاز مطالبيه عن مطالب سائر الاديان بل تتميز آداب الكتاب المقدس والدين

المسيحي عن كل ما سواها بل هو يرفض بالكلية في كل تعاليمه رذائل الشر ويستجنها ويرفع شأن كل ما يليق بالبشر من الفضائل ويأمر قائلا « كل ما هو حق كل ما هو جليل كل ما هو عادل كل ما هو طاهر كل ما هو مسر كل ما صيته حسن ان كان فضيلة وان كان مدح ففي هذه افكروا » في ٤ : ٨

(٢) لتأثيره في المدنية الصحيحة . ليس من ينكر ان الدين المسيحي عامل على امتداد المدنية باحياء روح الوحدة في قلوب تابعيه وابتعاد مبدأ الاشتراكية الصحيح والاخوة الحقة بين أفراد الامم المتنوعة التي يعمل على توحيد افكارها وجمع شتات أغراضها الى عائلة واحدة تسعى السعى المشترك للصالح الواحد العام بغض النظر عن اختلاف الجنس والوطن . العلم دفعنا الى الفرق بأولى العلم نظيرنا أما المسيحية فتعلمنا أن نشفق على جميع الجنس البشري على اختلاف طبقاته

زد على ذلك ان الدين المسيحي يعمل على الدوام على نصرة الفضيلة بل هو مصدرها وعلة وجودها ولما كانت المدنية الصحيحة لا تقوم الا بالفضيلة كان الدين المسيحي علة المدنية بلا خلاف

(٣) لتغلبه على جميع الموانع التي كانت سداً بين طبقات جميع الشعوب . قد أزال الدين المسيحي هذه الصعوبات بعكس الاديان الاخرى فالهويدي يكره السامري والعيني يدعو الاجنبي شيطاناً والرومان واليونان يقتسمون الناس الى متمدنين وبرابرة ويقسمونهم الى مؤمنين

وغير مؤمنين وشتان بينهما . ولكن ليس كذلك في المسيحية فلا فرق بين شعب وشعب أو جنس وآخر ، ليس يهودي ولا يوناني ليس عبد ولا حر ليس ذكر ولا انثى لانكم جميعا واحد في المسيح يسوع (غل ٣ : ٢٦ — ٢٨)

أوليس الدين المسيحي هو الذي نقل العالم من العبودية الجائرة الى الحرية والمساواة والاخاء . ألا ينسب له الفضل في منع النخاسة (الاتجار بالعبيد) ووقوفه كالسد المنيع ضد من يتجاري على ذلك ؟

انقضى الزمن القديم وبث السيد المسيح تعاليمه الفضلى الجديدة المؤسسة على الحرية ورفع لواء شأن الإنسانية فانقذ العبيد الارقاء بواسطة تعاليم الانجيل الصالحة كما مربنا ولكن أمرت الشريعة المسيحية بان يخضع العبيد لمولاهم خضوعاً تاماً (غل ٥ : ١٣)

وعليه فلا بدع أن قننا أن شجرة الحرية الحقيقية لم تنبت الا في بستان الانجيل وعبثاً نحاول الوقوف على مصدر آخر للحرية غير الدين المسيحي فهو وحده الذي وضع أصولها وقرر مبادئها وعلم الناس حرية الفكر ليعتقدوا ما يعقلون وما تقبله الضمائر وبالجملة فالدين المسيحي رفع قدر الإنسانية وضرب على الاستبداد بيد من حديد وأنشأ في الوجود هيئة توفرت فيها شروط المدنية على مبادئ صحيحة حرة في مبادئها منتظمة الشؤون

(٤) برهان ملموس : من أراد ان يتحقق فضل الدين المسيحي

تحقيقا لا شك فيه فليوجه نظره نحو الامم الخالية من اصوله التي تجردت عواطف أهلها من مبادئه فانه لا يرى الا فسادا ينبع وشرورا تلمع ومطامع لا تشبع ودماء تسفك على أرض لا تبلى . قال أحد الافاضل « أجل نظرك الى آداب المملكة الرومانية قديما أو ايطاليا تحت سلطة ملوكها الاولين والى فرنسا زمن ثورتها المشهورة حين خلعت الدين . انظر الى مبادئ الفوضويين والاشتراكيين المتطرفين الذين جل مقاصدهم افناء العائلات وتقويض اركان النظام العمراني وابطال الاعتقاد بالله . ماذا ترى الا وحوشا فى اجسام بشرية بل شياطين فى صور انسانية تجردت قلوبهم من عاطفة الرفق والحنان وخلت مشاعرهم من الحب لاختوتهم بنى الانسان » أما الدين المسيحى فاذا وجهت نظرك الى نتائج تعاليمه ترى آثار الخير المنتشرة فى الارض المخففة لالام الانسانية العاملة على ازالة ويلاتها وبه كثر الاجتهاد والذكاء وشيدت المدارس والكنائس والمستشفيات والجمعيات الخيرية والتبشيرية وتقدمت العوم والمعارف ولا ريب أن اية دولة تضع قواعد الدين المسيحى نصيب عينها ترتقى رقىا صحيحا . وقد شهدت بذلك الملكة فيكتوريا عندما أتى اليها سفير أمير افريقى ارسله مولاه ليعلم سر القوة الانكليزية اذ قالت لوزيرها « قل للامير ان هذا (وأشارت الى نسخة من الانجيل) هو سر عظمة انكلترا »

٥) لتأثيره فى الافراد والجماعات . دخل الدين المسيحى الى قلوب الافراد فلأها كمالا وقداسة وطهرها مما تلوثت به من أدناس الشوائب الحسية وعمل على تجديد الانسان وتنظيم اموره واعلاء قدره

وتغيير مبادئه فصار يعامل بعاطفة المحبة الطاهرة الى القداسة والى اخوته بنى الانسان ويعمل لخيرهم ويسعى فى تخفيف ويلاتهم

ثم دخل العائلات فرقى نظامها وعلم المرأة احترام الرجل وارشد الرجل الى واجباته نحو المرأة وهذب الاولاد على طاعة الوالدين وأوصى بالاعتناء بالمرضى وافتقاد المحبوسين والاسرى . واذا وجهت نظرك فلا تجد اسعد واتم نظاما من هيئة يعيش افرادها مسيحيين بالحق يسرون حسب ارادة مولاهم فى القول والعمل . كما أنك لا تجد دينا فى العالم يبعث على احياء العواطف الميثة ويخلق التأثير العجيب فى الضمائر النائمة سوى الدين المسيحى فانه يفعل ما لا تفعله السيوف البتارة ولا تقدر عليه صولة الجبابرة ويفتت صدد الصخور القلبية ويحول الذئب الضارى الى حمل وديع وينهض بالناس من سنة النوم الى طلب المغفرة ونيل الخلاص المجاى

ذلك الدين الذى أثر على الاخلاق والقلوب وغير أكبر الامم وأعظم الشعوب ونقلها من اخلاق الوحش الضارية والاسود الكاسرة الى الرفق واللين ، بل من الممجية الى المدنية ، ومن الوحش الى الانسانية ، ومن الغباوة والجهل الى النور والفهم ، من أكل أموال الايتام والارامل الى مساعدة الاقوياء للضعفاء والاغنياء للفقراء ، من عبادة الاصنام والحيوانات الى عبادة خالق الارض والسموات

لا تجد مكانا آمنا مطمئنا فيه يحترم الاباء أولادهم ويعتنى بالاطفال ويعرف مقام المرأة ويرثى لحال الفقير ويشفق على البائس المسكين ويعال المقعد العاجز الا حيث امتدت سطوة الدين المسيحى

وعرفت قواعده . واذا راجعنا تاريخ الجنس البشرى ونظرنا الى احوالهم اجمالا لرأينا من تأثيره فى الافراد والجماعات ما يجعه فوق كل كلام فكهم هذب ودرب أقواما وأرشد خطاة وهدى ضالين وجعل السكير ألباً والزنى عفيفا والشرس لطيفا ، ورفع عائلات ونظم جماعات . وتأثيره على الخصوص خفى فى القلب مع ما فيه من الجلال الباهر والجمال الساحر ، الامور التى لا يتسنى للمبادئ السياسية والعلمية مهما كانت أن تعممها لأنها وإن كانت توسع دائرة العقل وتثقفه الا انها عاجزة عن زرع بذور الحب وعن السيادة على القلب الذى منه نخرج الحياة ولا تستطيع التسلط على الضمير ، وبدون اصلاح القلب لا يمكن الحصول على الاصلاح الحقيقى الواجب لارتقاء الامم . لذلك يكون لدين المسيحى وحده هو القادر على هذا الامر

هذا ولو أردنا أن نتكلم عن كل الاصلاحات التى أجراها الدين المسيحى فى العالم والتى تدل على فضله لأحتجنا الى مجلدات ضخمة ولذلك نكتفى بما ذكرنا كما أن النور لا يمكن اخفاؤه والشمس لا يمكن أن نجعلها بكفينا . غير أننا نسأل أعداء الدين المسيحى هذا السؤال : هل لكم أن تأثروا بدين يفعل هذا الفعس الغريب و يؤثر فى نظام البشرية هذا التأثير العجيب . أتخفون بدين مثله أن كنتم صادقين . تصوروا ماذا يحصل للعالم لو انتفى الدين المسيحى ؟ أو ترى كيف يكون حال العالم لو رفعت منه قواعد الدين المسيحى ؟ ألا تعلم أن الفوضى تعم والخراب ينتشر والارض تصبح جحما لا يطاق ؟ قال مرة رئيس الولايات المتحدة « ان كل رجاء فى تقدم البشر متعلق على تأثير المسيحية المتزايد »

الباب الثالث

معجزة المسيحية

المعجزة هى فعل محسوس مذهل مخالف للنظام المعتاد ولشرائع الطبيعة اذ أن ما يحدث بموجب شرائع الطبيعة و يكون موافقا للنظام الاعتيادى يسمى حادثا طبيعيا واما ما يحدث خلافا لشرائع الطبيعة و يكون مصحوبا بتعريف سابق بأن ذلك موافق لارادته تعالى ومصنوع بقدرته فهو معجزة . فثلا من شرائع الطبيعة ان الميت لا يرجع الى الحياة فلورجع لكان ذلك معجزة

وعلى مقتضى هذا التعريف فان من له المام بالحوادث التاريخية ويستوع تاريخ الديانة المسيحية من بدء تأسيسها لعاية الآن يرى أن وجود هذه الديانة وبقاءها لآن معجزة فى بابه اذ من المعروف ان الامم لا تقوم لها قائمة واهيئات لا تتكون والممالك لا تثبت الا بالقوة . هذا شيء طبيعى يؤيده المشاهد وتؤمن عليه الشرائع الطبيعية التى تجعل القوة والعظمة أمرين متلازمين . ولكن مما حدث معجزة مخالفا لسنة الطبيعة ان الديانة المسيحية تأسست بالضعف وقامت باللا قوة . ونجاح الانجيل واتساعه لم يتم الا بوسائط ضعيفة وذلك برهان على أنه من الله

ولا خلاف فى أن الاديان الاخرى لم تتأيد فى الارض الا بقوة

البشر ولم تقم لها قائمة الا بتدبيرات طبيعية . فبعضها نجح بالسيف والآخر بالحليلة والتدبير البشرى وغير ذلك من الوسائل الزمنية . أما الدين المسيحي فجعل عن ذلك كثيرا وسما عن غيره ولم يتخذ وسيلة بشرية لنشر فضائله بل أذاعها باظهار سموها بين الناس . نعم قد ينتشر الدين بقوة السيف أما الدين المسيحي ففضلا عن كونه تجرد من هذه القوة فكان السيف واصحابه ضده وضد أتباعه . وقد يعم الدين بالنفوذ السياسى ، أما المسيحية فكانت السلطة المدنية ضدها تريد اعدامها

ولو كان الانذار بالانجيل مستندا الى اعمال الطبيعة ومساعداتها لكان ذلك بطلا واضعافا لقوة الصليب لعجيبة ، فالانجيل بدون الاستعدادات البشرية قررله بقوة الله أن يفتح بنفسه القلوب ويبين للعالم بهذه المعجزة انه آت من الله وبذلك أخزيت تلك القوة الانسانية وهذه الحكمة البشرية . وينتج من ذلك ان هتء الأمم ودخول الكثيرين الى المسيحية وتناك الأقوال التي أدهشت المتقلمين وأعجزت المتأخرين لم تكن من قوة البشر وبراهينهم المقنعة .

أجل . أن نجح الانجيل أولا فى تلك الأوقات هو معجزة عظيمة ليست من الأرض بل من فوق فجرد النظر الى صفات العصر الذى انتشرت فيه المسيحية يتضح ان ثبوتها فيه كان بقوة الله ، فان اعداءها كانوا اقوياء . هذا فضلا عن تشبث كل امة بديانها . والديانة المسيحية أتت لا لكى توحد فقط بل لتلاشى الأديان الفاسدة الأخرى فهمتها كـنت صعة للغاية . فاذا يعمل اشياع هذه الديانة وكيف يستطيعون ان

يغيروا القلوب عن اديان الفوها ووجدوا آباءهم عليها ، الى ديانة حديثة لم يعرفوها ولم يسمعوها من قبل وهى « المسيحية » ويرجح ان هذا اللقب « مسيحي » كان فى الأول شتيمة « ١ بط ٤ : ١٦ » حتى أن اغريباس قال لبولس « بقليل تقتنعى أن اصير مسيحيا » (أع ٢٦ : ٢٨) والمعنى ان حسن برهانك يجعلنى ارضى ان اعاب بهذا الاسم

ويجب علينا ان نلاحظ انه كان وقتئذ لكهنة اليهود والأمم سلطة ونفوذ . ومشروع المسيحية يقوض كل سلطة لهم ولذلك ينتظر ان تكون مقاومتهم للمسيحية شديدة جدا . كما ان السلطة العالمية كانت ترتعد فرقا مخافة ان تكون الديانة المسيحية آتية لتحل محل الملوك والولاة ، ولهذا كنا نرى الامبراطور دومتيانوس يتوجس خيفة عندما يسمع عن المسيح بأنه ملك ، وكان يخشى ان يأتى المسيح يوما وينزع الملك من يده ويجلس مكانه لأنه لم يكن عارفا ان ملكوت المسيح هو ملكوت روحى وان ملكه هو فى قلوب الناس لا فوق اعناقهم

لهذه الأسباب اتحد على مقاومة الانجيل جمهور الشعب والعلماء والكفرة والكهنة وسطان الحكم المدنى . ولأجل ذلك كان امام المسيحية صعوبات كثيرة وعقبات عديدة عليها ان تقاسمها وتجتازها لكى تقوم بما عهد به اليها . وكان لها ان تتذرع بقوة عظيمة تفوق كل تلك القوى التي كانت تعمل على محو اثرها من الوجود

ولا ريب ان الأمم تربصت للمسيحية فى ابان ظهورها اذ علمت بعظم الخطر الذى يلحق مصالحها من جراء مبادئ هذه الديانة

فشألبوا على معارضتها وراموا تقويض اركانها وعرقلة مساعيها . ولكن من هنا يظهر وجه الاعجاز الذى نتكلم عنه فمع ان اضطهاد المسيحيين قد لازم حده والضيق اخذ اشده وشرع السيف يعمل فى رقابهم حتى قتل منهم الوفا على اشنع طريقة سواء بالحرق او بطرحهم للوحوش الضارية . مع كل ذلك نرى ان ذلك الحق الذى كان ينادى به اولئك المضطهدون والمهانون والمزدري بهم قد رسخ كاملا وثبت عاملا واستمر لامعا بنوره الساطع وامتد الى كل اقطار لعالم ولم يمض الا قليل من الزمن حتى من الوف بالديانة المسيحية فى اورشليم وأماكن أخرى فى بلاد اليهودية . وفى بلاد الوثنيين كان النجاح أكثر سرعة واتساعا ، وما مضى على ظهور المسيحية نصف قرن حتى قامت كنائس فى أعظم مدن الولاية الرومانية جميعها التى كانت اذ ذاك ممتدة فى أكثر الأقطار المعروفة حينئذ من الدنيا . وكان كما مى وطيس الاضطهاد كثر عدد الداخلين الى حضن المسيحية ومازال الأمر ينمو ويتقدم حتى صارت الديانة المسيحية ديانة القياصرة وأشراف ولايتهم وذلك فى أقل من ثلاثة قرون بعد قيامة المسيح

تلك هى الموانع والصعوبات التى احتاطت بها المسيحية والتى هبطت عليها كالسيل الجارف غير انها لم تتكص الى الوراء ولم ترتد على عقبيها خاسرة بل ثبتت غير متزعزعة ، وهذا ما يقودنا الى الاعتراف بأن قوة سرية كانت تعمل فيها وبها وهى التى حفظتها فى كل تلك الادوار المريعة التى مرت عليها . قال كارليل الكاتب الانكليزى الشهير: « كيف نجح هذا الدين وامتد بين الناس ؟ هل بالأندية ودور التعليم والتدابير الطبيعية العقلية ؟ كلا ولكنه بخلاف ذلك يضعف تأثيره بمثل

هذه الوسائل . ولأنه ليس بدين عقنى فلا يمتد بالوسائل العقلية . ولا هو نظام بشرى فلا ينجح بالأسباب الزمنية ولكنه روحى يتقدم بالطرق الالهية . فقد نشأ فى أعماق النفوس وانتشر بالتبشير بالكلمة لا بالأدلة والمناظرات الفلسفية والبيانات المنطقية وامتد بالاقناع الداخلى بوسائل ضعيفة فكان كلهيب النار يندلع لسانه ممتداً من قلب الى قلب حتى ظهرت قلوب تابعيه وضاءت بنوره الآلى الفائق واشرق على ظلام العالم كالشمس فى ضحاها . وأثار فى دجى ليل الجهالة فبدد غياها — ولا تُثر للمساعى البشرية فى نجحه ولا للوسائل المادية الزمنية فى انتشاره »

حقا انه لأمر عجيب . وما يدعو إلى العجب أكثر فأكثرا اذا تأمل فى مصدر احدى كانت تستمد منه المسيحية قوتها والذى به تثبت أساسها . ولنتأمل الآن فى ثلاثة أمور كانت العوامل الوحيدة فى بقاء المسيحية سائرة على مبدأ الزيادة العائقة حتى الان .

الفصل الاول

الصليب

« فان كسمة الصليب عند الهالكين جهالة واما عندنا نحن المخلصين فهي قوة الله » (١ كور ١ : ١٨٠)

ان الديانة المسيحية هي ديانة المعجزات والعجائب لهذا لا غرابة ان كنا نرى اول سلاح استعملته لتأييدها ، وأعظم قوة أطلقتها على خرافات الوثنيين وأوهام اليهود ، وأهم نبال صوبتها الى القلوب القاسية وأسرتها هو « الصليب » ذلك الذي لم يجد بولس شيئاً يفوقه حتى يضره فقال « وأما من جهتي فحاشا لي أن أفتخر الا بصليب ربنا يسوع المسيح » (غل ١ : ١٤) هناك من أعلى جبل الجلجثة صدر المرسوم الملوكي بوجود المسيحية « قد أكمل » يو ١٩ : ٣٠ وهناك تحت خشبة الصليب انسكبت قطرات الدم الثمين التي بها كتبت معاهدة الصبح بين الله والبشرية الأثيمة وبهذه الدماء الكريمة تأيدت المسيحية « ذبحت واشترينا لله بدمك » رؤ ٥ : ٩

لا نقصد « بالصليب » قطعة الخشب التي استعملت لا تسام هذا الغرض بل نريد بذلك العمل العظيم الذي تم بالصليب ، لا بل ذلك

الرجل العظيم « المصلوب » مؤسس المسيحية . كثيراً ما احتقرت المسيحية لأن رئيسها مات « مصلوباً » ولكن قد مضى ١٩ جيلاً منذ تأسست المسيحية وقد هلكت فيها النور الرومانية ، واشعة الصليب لا تزال تضيء في القلوب ومن أعلى قباب الكنائس في أنحاء العالم وصارت الممكة المسيحية الان تنيف عن أضعاف المملكة الرومانية

أن مؤسس المسيحية « المصلوب » يفوق جميع مؤسسي الحكومات والمشرعين العظام والأبطال الصناديد وحماة الأمم فم يفكر واحد في ما فكر فيه هذا الشخص العجيب بل أن أفضلهم وأعظمهم وقف نفعه بالأخص على قومه أو امته أو ممكته . أما يسوع ذاك النجار الجليلي البسيط فله ما لم ينسب لأولئك . ذاك الذي لم ير خارطة واحدة للعالم في كل حياته ولا سمع بأخبار ولونصف الامم العظيمة التي تسكن على سطح الكرة . عاش زمناً في أجمل ولايات فلسطين في حالة الفقر مشغولاً بيديه تحت ظلال دكان النجارة بعيداً عن المدارس والجمعيات والمكاتب ، لاحظ له في وسائل المدنية الاجتماعية ولا التربية العصرية ولم يكن له منها سوى عناية الأم وكتاب الطبيعة ونسخة العهد القديم وشركته الداخلية مع ابيه السماوى . ومن ذلك قام استغراب اليهود وكل معارضيه الذين سمعوا أقواله المدهشة فزاد عجبهم قائلين « أليس هذا ابن النجار ! فن أين له هذه الحكمة وهو لم يتعلم قط » ؟ .

وبما يدعو الى الغرابة أكثر أننا نراه يشرع وهو خارج من دكان النجارة في مشروع أصعب وأوسع من مشروع نابليون لأنه قصد بمشروعه

أخضع العالم كله لذاته . وزاد عن نابليون بأنه قصد أخضاعه بعمل المحبة الالهية . عسى انه مهما يقال فى أمر نوابغ الارض فكان لايد من توالى السنين وكثرة الايام لأعداد عقولهم وصفاتهم حتى يمكنهم الظهور بين الناس ونادر من ظهر منهم فى شرح شبابه وأتم عملا يذكر وهو فى سن الثلاثين من عمره نظير اسكندر المكدونى الكبير . ولكن هذا كان سفاكا للدماء قضى حياته يعيث فى الارض فساداً ثم مات أخيراً نبواً من شهوته وبعد أن شاد أعظم مملكة لعبت بها أيدي الضياع وإن ثرت بعد مماته . أما يسوع المسيح بشير السلام فإنه مات منتصراً ومثلته لروحى دائماً الى الابد .

ن أغلب اليهود الذين سمعوا كلام يسوع عن تأسيسه مملكة ليست من هذا العالم كانوا يرمونه بالمروق عن جادة الصواب بل كانوا يحتقروه وذلك لأنهم كانوا ينتظرون لضعف الشخص المنظور لهم ولم يدركوا أن كلام هذا الناصرى يتم بعد موته بوقت قليل حيث أخذت مملكته تمتد حتى الى بيت القيصر . وما كان أدعى للاندهاش قول مؤسس المسيحية « أن حبة الخنطة ما لم تسقط فى الأرض وتمت فلا تثمر » فهو يعلق نجاح ديانته على موته . وفى هذا معجزة غريبة . ملك يحتفل بتنصيبه وهو معلق على الصليب ! و يتوج باكليل شوك ويملك وهو بين ثنايا القبور ! لامراء ان الذين قاموا ليؤسسوا الممالك هم رجال غيرون عظام ذوو بأس وقوة لهم عدة وسلاح اما مؤسس المسيحية فقد ابتداء بتأسيس مملكته بروح الهدوء والرزانة وعمل بدون مظاهرة ولا طنطنة وختم حياته بالموت معتبراً ان هذا هو النصر .

ترى قادة الامم وأبطالها لا يخالطون الا العظماء لكي يكونوا لهم عضداً فى مهام الامور ، أما قائد المسيحية وبطلها فلم يهتم الا بالفقراء ولم يهتم بهم فقط بل سر أن يكون واحداً منهم « الذى افتقر لاجلنا وهو غنى » كو ٨ : ٩ كما أنه لم يكن محاطاً بحزب ، ولا عضداً من فئة من الناس تعاونه على مشروع تأسيس مملكته ، ولا جعل لذاته شهرة خاصة ولا امتيازاً معلوماً « بل أخذ صورة عبد صائر فى شبه الناس » فى ٢ : ٦ — ٨ .

قال ثيودو باكر عن يسوع « أفحصه كما تفحص المعلمين الآخرين انهم يلحقون تعاليمهم على الناس فيقوم بعدهم افراد قلائل من المنتظرين تعزية فى تلك التعاليم و يقنون البشائر الجديدة و يتبعون الطرق الجديدة ولكنهم لا يلبثون حتى يفوقوا معلمهم و يزدوا شهرة وعملا عن مرشديهم بقدر ما تكون عقولهم أقوى واكبر من أولئك المعلمين ولكننا نحن الذين انتهت الينا اواخر الدهور نرى اليوم ما لم يره سقراط ولا غيره من العلماء . نرى بعد مرور تسعة عشر قرناً على بزوغ شمس الانسانية ان يسوع هو الشمس العالية التى لا تلوها شمس فى الوجود . لان لم يستطع فرد او جماعة ان يحيطوا علماً بكل افكاره او ادراكا بجميع طرقه وان يطبقوا حياتهم تماماً على مثال حياته »

هذا ولم يأتنا التاريخ بخبر رجل عاش هكذا وديعاً ناكراً ذاته انكاراً لا نظير له كما واننا لم نسمع عن نجاح باهر صادف عملاً كالنجاح الذى صادف عمل هذا الرجل الوديع . هو المولود فى مذود الهائم ،

والمصلوب على خشبة الصليب كمجرم ، قد ساد الآن على ممالك العالم
المتمدن وخضع لسلطانه ما يزيد على ثلث سكان الكرة الأرضية

فهل خطر لأحد فكر كهذا ان يكون موته سبباً لانتشار ديانة
عظيمة كهذه ؟ قيل « حاول ليبييه الفيلسوف الفرنسي ان يخترع ديناً
فخاب مسعاه فذهب لاستشارة تاليرند المشهور فقال له هذا : « يامسيو
ليبييه لقد شرعت في امر خطير اذ ليس من السهل انتشار ديانة جديدة .
ولا اعرف كيف تنجح . الا اني شير عليك ان تموت صليبا وتقوم من بين
لاموات في اليوم الثالث » أهـ .

الفصل الثاني

رسل الصليب

لنلخص الآن الى الذين فوض اليهم نشر الانجيل . فمن هم الذين
أرسلوا ليكرزوا بالمسيحية للخليقة كلها و يتلمذوا جميع الأمم . ربما يخال
للبعض اذ يرون النجاح العظيم الذي لازم المسيحية أن وسائط نشرها
كانت متوفرة ولكن لدفع هذه الشبهة نقول : ان السيد له المجد لم يؤلف
مملكة ومشهد جنوداً ويعمى عساكر تدافع عن دينه الجديد ولكنه لم يترك
لهم الا تلاميذ لا صولة ولا قوة لهم ولم يترك سيرة محبته التي أشعلت في
قلوبهم محبة لم يقدر أعداؤهم بمرارة قلوبهم أن يطفئوا نيرانها المتأججة .
وعندما خرجوا الى العالم لم يكن عندهم سوى محبته التي كانت كنزهم
الوحيد الذي لا ينفد . بل هم نفر قليل بدون ادنى أهلية ولا جدارة لهذا
العمل العظيم ، وفي ضعفهم برهان كامل على أن نجاحهم من الله لأنهم لم
يكونوا فلاسفة ولا خطباء ولا معلمين بل هم من قبيلة من البشر معتبرة
عند أكثر الأمم محتقرة يزدرى بها الجميع ازدراء خصوصيا . ومن الفئة
الاقبل اعتبارا في تلك القبيلة وكانوا فقراء وضعفاء مهانين لم يعرفوا من
المصالح العالمية سوى جباية العشور وصيد الاسماك ، ومن اللغات سوى
لغة الجليل .

لكن والحالة هذه أرسلهم سيدهم لكي يكرزوا لجميع الأمم

والقبائل ويجولوا مبشرين ببشارة الخلاص . ومن لمدش أنهم كانوا يتكلمون بنغات عديدة لم يدرسوها بل أرشدتهم إليها روح الله . واقتحموا أسوار الديانة اليهودية الشاقة وسحقوا قوة الوثنية الخاطئة بمحصول الرذيلة والفساد والمصانة مكر الكهنة وتقاليد العصور القديمة ثم دخلوا مدارس الفلسفة العظيمة وكتبوا عجب أولئك الفلاسفة وأفهموهم أن الله جهل حكمتهم . وفي هذا يصح قول يوحنا فم الذهب (١) « أين تعاليم أفلاطون وفيثاغورس وفلاسفة أثينا ؟ قد تلاشت كلها . ولكن أين تعاليم صانعي الخيام وصيادي السمك ؟ أنها ليست في بلاد اليهود فقط بل يمكننا سماعها أيضاً باللغات الأخرى ألا ترون أن السكيثيين وهنود والمغاربة ولبريطانيين المستوطنين أقصى أطراف العالم حاصلون على هذا التعليم الجليل . قد ترجم الإنجيل إلى لغتهم فوجدوا فيه الحكم الحقيقية . أين ذهبت تسمعون أسماء صيادي السمك الجليبيين من كل لسان . ذلك لأن هؤلاء الصيادين لم يكونوا أفضل من غيرهم من البشر بل من جراء قوة المصلوب الذي أعد الطريق لهم والذي صير الجاهل أحكم من لفلاسفة »
أ هـ

إن سلسوس عدو المسيحية عاب على الدين المسيحي انتصار الفقراء له بقوله « أن النساجين والاسكافيين والنجارين والصباغين وأحط الناس تربية وعلماً هم الذين نراهم أشد الناس غيرة على هذا الدين المسيحي . أنهم طبقة من الناس لا يستطيعون أن يفتحوا أفواههم

(١) عن كتاب « خطيب ادينتين » أو تاريخ حياة يوحنا فم الذهب للمؤلف

في حضرة العلماء وليس لهم نفوذ إلا على النساء والاطفال » فرد عليه ترتوليانوس مفتخراً ببساطة الإنجيل كبرهان على سموه الإلهي « إن كل صانع مسيحي بسيط قد وجد الله وهو يستطيع أن يدرك عليه وبلا جدال يقدر أن يدرك كل شيء من الأمور المطلوب معرفتها في الله ولو قال أفلاطون أنه ليس من السهل أن نجد الخالق ومتى وجدناه يستحيل أن نجعله معروفاً عند الكل »

ومما يجعل نجاح الرسل البسطاء من أهم المعجزات هو أن التعاليم التي علموا بها لم تكن مناسبة لاغراء الناس وتخليقهم بل كانت منافية لمعقوفهم جداً . فلا يخفى أن المزورين عندما يريدون اذاعة ديانة جديدة يجتهدون في جعل تعاليمهم ورسومهم مناسبة لذوق الذين يقصدون تلمذتهم ولكن واضعي الديانة المسيحية لم يسلكوا مثل هذه الطرق المرضية للبشر بل كان أول ما طلبوه أن ينكر الإنسان نفسه ويحمل صليبه وكانوا يأمررون بالتوبة عن كل الخطايا مهما كانت متملكة أو لذنية . وكانوا يطلبون طلباً جازماً بترك جميع الأملاك والأصحاب لأجل المسيح . وعلى ذلك فقبول الناس لتعاليم كهذه من أناس سذج كهؤلاء من الغرائب لأنه لم يكن فيهم علم ولا حكمة لكي يجعلوا في عقول الناس تأثيراً كافياً لاحتداث مثل هذه الحركة . لأنه من أين هؤلاء الضعفاء الاستطاعة على اقناع عقول الناس المقاومين بحقائق لا يقبلها العقل بداهة ولا تلائم الطبيعة البشرية . ومن أين للصيادين والعشارين والجهلاء أن يقوموا في وسط مملوء من الأفكار المتنوعة وبين قوم كلهم تعصب ويزيدوا مبادئ دين قد أهين صاحبه وقتل صلباً وينادوا الناس للإيمان بهذا المصلوب

و يشيرون بين الأمم الوثنية بمبادئ ترفضها ديانتهم و يعلموهم بأن يصدقوا أموراً لم يشاهدوها و تعاليم لا توافقهم . وكيف يمكن هؤلاء المساكين قوة الاقتناع فى زمان كثر فيه الآراء الفلسفية لولا أن الله صاحب هذا الدين هو الذى تمهد بانتشاره و قام بأداعة مبادئه متخذاً هذه الوسائط الضعيفة وسيلة لظهار قوته ليؤيد ألوهية مصدر ديانتته التى يجب أن تحل عن اتخاذ طرق الارهاب والاغراء وغيرها من الوسائل البشرية .

وأية معجزة قاهرة أبهر من هذا النجاح الباهر فإن التقدم السريع الذى لازم هذه الفئة القليلة هو معجزة المعجزات وأعجوبة كل العصور ، لا ينكرها من يجسر على انكار المعجزات ولا يختلف فى صحتها اثنان

ألا فسيبطل افتخار اليهود بهليل وشمعى ، وليكف اليونان عن الاعجاب بأفلاطون و زينون وأبيكورس لأن هؤلاء لم يستطيعوا أن يعملوا عملاً مما عمله هؤلاء الرسل المساكين الذين لم يدرسوا فى مدارس أثينا ولم يخطبوا الخطب الفلسفية العميقة بل فقط نادوا « يسوع وإياه مصلوباً » تلك المناداة التى ما فتئت تفعل فى النفوس فعلاً عظيماً حتى ضمت تحت لوائها أفراداً عديدين من كل أقطار المسكونة .

الفصل الثالث

اتباع الصليب

« دم الشهداء بذار الكنيسة » (كبريانوس)

مما يدعو للدهشة أن وسائل التعذيب التى تخرج كؤوسها المسيحيون الأول كانت من أقوى العوامل فى نشر المسيحية وازدياد تابعيها حتى ان الذين قبلوها فى ابان الحزن والضيق كانوا أكثر من الذين قرعوا أبوابها فى زمن الراحة والسلام ومع أنهم رأوا وعلموا أن السيف والنار سيلاقيان كل مؤمن فقد قبلوا ذلك بكل فرح وسرور وضحوا بدمائهم التى كانت بمثابة سماء قوى المفعول للكرم الالهى الذى أُنِيع بها ، وأثمر الأمر الذى جعل الأعداء يلقون سلاحهم لئلا تبتلع المسيحية مملكتهم

وان القلم ليعجز عن وصف هول الاضطهادات المريعة التى هطلت نيرانها على رؤوس المسيحيين ، فان الاعداء أذاقوهم أشنع ضروب العذاب المريعة التى تقشعر من ذكرها الابدان . فاحرقوا البعض من المسيحيين بلطى النيران ليكونوا مصابيح فى الظلمة وعلقوا البعض منهم على الصليبان وألبسوا كثيرين منهم جلود الوحوش وأخرجوهم للفرجة ثم قدموهم للأسد فزقتهم وقتلوا الكثيرين بطرق متنوعة واستعملوا الآلات الحادة تهشيم أعضائهم وسحق عظامهم وأوقدوا الحديد بسعير

النيران الملتهبة وأجسوا بعض المسيحيين عليه حتى ذابت لحومهم . وتجبرع المؤمنون من الآلام المرة في تلك الايام ما يشيب هؤلها الولدان اذ اتحد عليهم الولاة الرومانيون مع الشعوب الوثنية لغرض واحد هو استئصال دين المسيح واستعملوا كل قوة بشرية في تعذيب المسيحيين وقتلهم حتى أنه في وقت وجيز جداً كثر عدد الذين استشهدوا . وقد أخبر مؤرخو تلك العصور أن الجوع أو الحرب أو الوباء لم يهلك في وقت ما أكثر منهم . قال كبريانوس : وكانوا وهم في العذاب أشد وأقوى من معذبهم وكانت أعضاؤهم المرضضة وعظامهم المهشمة قاسية على الآلات التي تسحقها وتقطع لحومها ، والجلدات المتواصلة لم تقو على زعزعة إيمانهم المتبع مع أنها كانت تقطع لحومهم أرباً وتمزق أمعاءهم أيضاً » هذا ما قرره بعض الذين استمروا يكابدون ذلك الى نهاية الحياة

ولما تشتت المؤمنون من أورشليم من شدة الاضطهاد جالوا مبشرين بالكلمة وفي أقل من ثلاث سنوات نظمت كنائس كثيرة في كل اليهودية والجليل والسامرة . ثم بعد ذلك كثر بالانجيل بين الأمم . وهكذا أخذ العمل يتقدم فلم تمض ثلاثون سنة من موت المسيح حتى انتشرت كنيسة في اليهودية والجليل والسامرة وفي نحو كل مقاطعات آسيا الصغرى العديدة وفي بلاد اليونان وجزائر بحر الروم ومواحل أفريقيا وفي إيطاليا ورومية أيضاً . وكان عدد المؤمنين في كل مدينة يذكر مقرونا بهذه العبارات وهي « عدد عظيم » و « جاهل كثيرة » و « جمع كثير »

فالأمر واضح من التاريخ ان الديانة المسيحية غلبت واتسعت

في مدة قصيرة في اماكن شتى وهذه الاماكن لم تكن منفردة ولا بعيدة عن نور العلم ولكن كانت من المدن العظمى في تهذيب أهلها وتمدهم وكان فيها كل نوع من علوم ذلك العصر واليها كانت تتقاطر العلماء فكانت دمشق وانطاكية وأفسس وكورنثوس وفيلبي ورومية هي الاماكن التي أشرق فيها نور الانجيل أولاً . وعلى ما يعرف لم توجد مدينة شهيرة في المملكة الزومانية الا وقد تأسست فيها كنيسة مسيحية قبل موت الرسل ولا يخفى ان هذا الامر لم يكن في قرن مظلم بل كان في قرن يعترف الجميع بأن العلوم الفلسفية وصلت فيه أقصاها اذ جاء بعد القرن الاوغسطاني الذي اشتهر لدى الخاص والعام بالعلماء الماهرين والادباء البالغين . فلو كان الانجيل مزوراً لما كنا نرى المبشرين يذهبون به أولاً الى مثل هذه الاماكن . ولو ذهبوا لانكشف أمرهم في الحال .

يقول تاسيتوس أنه لم تأت سنة ٦٠ للميلاد الا وكانت روميه مليئة بالمسيحيين حتى أنه لما أثار نيرون الدموى اضطهاده الأول استطاع أن يقبض بسهولة على كثيرين منهم ويقول افيلنيوس الحاكم الروماني على بنطس وبيثينية في رسالة له أنه في سنة ٧٠ للميلاد انتشرت المسيحية في هاتين الولايتين مع انها بعيدتان جداً عن أورشليم وأن كثيرين من كل عمر ودرجة ، ذكورا وأنثا ، يساقون من وقت لآخر الى محافل القضاء حيث يشتكى عليهم من جهة عقيلتهم .

وعليه فان نجاح المسيحية بهذه الطرق البسيطة هو من معجزات التاريخ مما يدل صريحاً على مصدره الالهى فلا ينسب تقدمه الغريب الا

الى أنه من الله ولا صفاته السامية فعبت في الناس هذا الانقلاب العجيب . لان الدين الذى قام به يسوع المصلوب المحترم . الدين الذى يعصم الناس أن يكونوا ودعاء متفقين يحملون الظلم ولا يعملون الاساءة الدين الذى ينبج و يتقدم مع وجود كل القوات المختلفة لكفية لأطفء كل قوة ضدها و يتغلب عليها جميعها و يقهرها تحت سلطانه بل و يستخدمها فى نجاحه فو دين الله المؤيد منه تعالى . وإن نجاحا هذا مقداره لا بد وان يكون منشأه قوة الله غير المحدودة وقيامه المسيح المجيدة

ثم أن ما أحتمله المسيحيون الاولون من العذاب لاجل ديانتهم كان شديدا و يشهد به لجميع من يهود وأمم . والذى يثبت برهاننا أنه كان يمكنهم الخلاص حالا من عذابهم لورفضوا الديانة المسيحية ولم تكن عند مضطهديهم غاية سوى الجائهم الى ذلك . وكانوا يخبرونهم دائما بين تقديم الذبيحة والبخور لاهتهم ، و بين احتمال العذاب . فقد كانت كلمة واحدة كافية لخلاصهم وعمل هين كافيا لرجوعهم الى خيرات العالم وملذاته ولكنهم تمسكوا بما كانوا عليه اشد التمسك . نعم ان بعضهم سقط من شدة قساوة المعذنين ولكن لم يسمع قط عن احدهم انه كان منافقا او مراوغا بل ان الذين خانتهم شجاعتهم فى ساعة العذاب لم يزلوا متأسفين على ضعفهم كل ايام حياتهم وهكذا لم يقتل احد لاجل الديانة المسيحية قهراً بل كان كل شهيد يبذل نفسه باختياره تمسكا بالحق وحفظا لسلامة الضمير .

قال بعض المؤرخين « يجب النظر الى مصائب المسيحيين الأولين

من وجه آخر وهو السجاياء التى ظهرت منهم حينما كانوا يحملون كل نوع من العذاب فان اناسا من كل سن ورتبة ، ذكورا واناثا قد اظهروا تحت العذاب الألم المستطيل شجاعة وصبراً لا نظير لها فى تاريخ جميع العالم . لقد فرحوا عندما امسكهم الظالمون وتودعوا من اقرب الاهل واعزهم بكل بشاشة ، ودخلوا فى النار بكل سرور ورحبوا بالوحوش الفسارية التى اطلقت عليهم لتفتريهم وتبسموا لما رأوا تلك الآلات التى تمزقت بها لحومهم وانخلعت مفاصلهم وتكسرت عظامهم ، وعندما حكم عليهم بالموت لم يظهر عليهم اى تألم بل طلبوا من أصحابهم أن لا يتعرضوا فى سبيل سعادتهم (أى الموت) واتصلهم بالله ولو بالصلوات لاجل نجاتهم «

فما هذه الشجاعة الفائقة القدرة البشرية ؟ وأى روح عاون هذه الجماعة الحقيمة المضطهدة ؟ واية مبادئ طبيعية فى تركيب الانسان تكون عنة كافية لهذه العلية على الألم والموت ؟ أكانوا يحملون كل ذلك لو عرفوا أن دينهم هوزور وهتان ؟

ان نساء شريفات وشيوخا طاعنين فى السن كانوا اشجع من الشبان والاقوياء إذ كانوا يسمون فى انفسهم حتى الموت وشهدوا او ختموا شهادتهم بنعائهم والان قد تسربلوا بثياب بيضاء وهم يسبحون تسبحة موسى والخروف والأغصان فى ايديهم . فطوباكم أيها الشهداء لقد استرحتم من اتعابكم واعمالكم تتبعكم .

اجل . بمثل هذه الظروف كانت الكنيسة محاطة فى تلك الايام غير انها لم تقف عند حد محدود بل جعلت تتقدم وتمتد وتقوض اركان كل

ما تراه معوقا لسيرها وبعد مدة ٣٠٠ سنة من بدء تأسيسها صارت دين المملكة الرومانية الرسمي وسقطت الديانة الوثنية العظيمة حتى صرخ آخر قيصرية الوثنيين الرومان عند موته قائلا : « لقد انتصرت أخيرا إياها الجليلي » (١)

الخاتمة

« روح الرب على لأنه مسحني لأبشر المساكين .
أرسلني لأشفي المنكسرى القلوب لأنادي للمأسورين
بالاطلاق وللعمى بالبصر وأرسل المنسحقين في
الحرية » لوقا : ١٨

منذ تسعة عشر جيلا وكثير من الناس الذين ساءوا فهم المسيحية
يعبدون الضعف بشخص يسوع ، و يسوع كان قويا ولكنهم لا يفهمون
معنى القوة الحقيقية

لقد أفطنا في الباب الثالث في وصف ضعف المسيح المتأنس
وهذا لا يؤخذ منه أن يسوع كان ضعيفا في كل شيء . حاشا . لأنه كان
قويا في ارادته . قويا في حجته . قويا في أعماله . قويا في كل شيء
غير أنه تجرد مما يقال له « القوة العالمية » أي أنه لم يقم بتعزيز دينه بقوة
بشرية ولا بمساعدة وسائل زمنية .

(١) هو يوليانوس قيصر الذي كان مسيحيا ورتد عندما جلس على لعرش وبدأ يقاوم
المسيحيين ومات وهو في موقعة حربية وأخذ حفنة من دمانه ورشها في الفضاء وصاح
قائلا : عبت يا جليلي

لقد رأينا يسوع الناصري مولودا كالفقراء ، عاشا كالمساكين
مهانا ، كالضعفاء مصلوبا كالجرمين فنيكه ونزبه وهذا ما نفعله
لتكرمه .

كللا ! ما عاش يسوع مسكيناً خائفاً . ولم يمت شاكياً متوجعاً بل
عاش قوياً . وصلب شجاعاً . ومات جباراً

لم يكن يسوع طائراً مكسوراً الجناحين بل كان عاصفة هوجاء
تكسر بهوبها جميع الاجنحة المعوجة

لم يخف يسوع مضطهديه ولم يخش اعداءه ولم يتوجع أمام قاتليه بل
كان حراً على رؤوس الاشهاد . جريئاً أمام الظلم والاستبداد . يرى
الأمراض الروحية فيبضعها . ويسمع الشر متكلماً فيخرسه . ويلتقى
بالرياء فيصرعه

الا أيها الجبار المصلوب

الناظر من أعالي الجلجثة الى مواكب الاجيال . السامع ضجيج
الامم . الفاهم ما يجري تحت ستار الظلام . أنت على خشبة الصليب
المضرجة بالدماء أكثر جلالاً ومهابة من الف ملك على الف عرش في
الف مملكة . بل أنت بين النزع والموت أشد هولاً وبطشاً من الف قائد في
الف جيش في الف معركة لانك بضعفك وبصيادى السمك وباضطهاد
شعبك أسست مملكة عظيمة دالت لها كل الاعناق

أنت بكآبتك أشد فرحاً من الربيع بأزهاره . أنت بأوجاعك اهدأ
بالا من الملائكة بسمائها . وأنت بين الجلادين أكثر حريه من نور
الشمس .

ان اكليل الشوك على رأسك هو أجل وأجل من تاج بهرام (١)
والمسمار في كفك اسمى وأفخم من صولجان المشتري ، وقطرات الدماء
على قميصك اسنى لمعاناً من قلائد عشتاروت (٢)

(١) بهرام شاه العجم

(٢) عشتاروت آلهة للصيدين (فص ٢ : ١٣) ودعيت هذه الالهة ملكة السماء
ولذلك قلدها عابدها بقلائد من أنفاس الجواهر ضرب بها النمل للأشياء الثينة .

فسامح أولئك الضعفاء الذين ينكرون ألوهيتك والذين يهزأون
بدينك . واغفر لهم لأنهم لا يعلمون بأنك صرعت الموت بالموت ووهبت
الحياة لمن فى القبور

ونحن تماماً نرحب بذلك اليوم السعيد الذى فيه تسود المبادئ
المسيحية على كل العالم وتتشرب بتعاليمها فعلا لا اسما فتتمم روح الفضيلة
والصدق والرفق والمحبة والتواضع والرحمة والاخاء والمساواة وتتلشى
الضعفائن والاحقاد بين عناصر البشر المختلفة و يصبح العالم باجمعه ملكا
للمسيح خاضعا لسلطانه .

فى ملء الزمان

بينما كان هذا الكتاب ماثلاً للطبعة الأولى سنة ١٩٢٠ اطلع
على الأصول حضرة الاستاذ الفاضل خليل افندى رزق فاتمخنا بكلمة
ثمينه جادت بها قريحته النيرة ادريتها هنا مع الشكر الجزيل ونحسبها
طرفة شهية تروق لحضرات قراء كتابنا الكرام فيقتطفونها بشوق ورغبة لما
حوت من جليل اللفظ وبديع المعنى ، وها هي :-

عبد المصريون قديما العجل أبيس وعبد الرومان جوبيتر والهنود
برهما والصينيون كونفوشيوس . وكل يعتقد أن معبوده مظهر من مظاهر
الخالق ، به يتقرب اليه زلفى فدل هذا على حاجة البشر بالفطرة الى
وسيط يكون حلقة الاتصال بين الخالق والمخلوق و يكون مثلاً أعلى
وفؤذجا كاملاً فى التقى والقداسة

(وفى ملء الزمان) جاء يسوع بهاء مجد الله ورسم جوهره واتخذ
جسداً وولد من عذراء كى يدرك البشرية الله و يرويه فيه . جاء نوراً للعالم
فأكمل الشرائع على مقياس المحبة وانكار الذات . وأمر بمحبة العدو
واستعمال الخير سلاحاً لغلبة الشر وعلم بطهارة القلب والفكر وأسس
ملكته لا بقوة السيف ولكن بقوة المحبة فاصبح عدد تابعيه ٧٠٠ مليون مع

ما وقع عليهم في بدء تاريخهم من الاضطهاد فعذبوا ونشروا وأحرقوا احياء
وأموات واحتملوا كل ذلك بفرح ، ولسان حالهم يقول

انى أحب الرب لا لأربح النعيم
ولا لكى أنجو من ال عذاب فى الجحيم
لكن أحبه لان لى حبه يملو
وهو الذى من فضله أحببني قبل

فوجود المسيحية اليوم هو معجزتها وسيطرتها ، على عالم الادب
والسياسة دليل على قوة تأثيرها .

وكما أن نور الشمس لا يخفى الا على من أظلمت بصيرته كذلك
لا يرى جلال « شمس البر » من وضعوا على عيونهم حجابا كثيفا
وأوصدوا قلوبهم واسكتوا ضمائرهم بل أماتوها حتى لا يزعجهم تبكيتها .
وقد كثر أمثال هؤلاء الذين أخذوا من العلوم قشورها وخالوا أنفسهم من
الراسخين غير انه قد طاش سهمهم وخاب ظنهم فانهم بذلك عجزوا عن
معرفة ما يدره البسطاء ولقد صدق في ذلك قوله له المجد « اخفيت هذا
عن الحكماء والعلماء واعلنته للاطفال » بيد انه لا مراء فى ان كتاب
« الدليل الصحيح » هذا من اهم الكتب التى تقود من يطالعها الى
« قديم الأيام » و « ملك الدهور » وهذا مما يسر كل محبى صهيون .

خليل رزق

تحفة نفيسة

لقد اتحفنا حضرة الفاضل الشيخ اسكندر عبد المسيح الباجورى
بقصيدة نفيسة تبرهن على شديد اخلاصه لكنيستنا القبطية . ولا غرو فانه
معروف بمؤلفاته العديدة وقصائده ومقالاته التى ملأت أعمدة جريدة
الحق فله منا الشناء . وهذه هى قصيدته الغراء .

للقبط فى مرقى العلى وثبات
قطعوا العهود لمرقس وتمسكوا
مذ جاء كاروز الديار مبشراً
عاشوا بمجد حافظين لعهدهم
عاشوا بايمان قويم مقنع
تقليدهم من عهد وحى مسيحنا
حفظوا « الكتاب » وترجموه بدقة
سنوا لنا قانون ايمان به
من بعد ذا جاء الرجم بجنده
كثر اضطهاد الظالمين وبغيهم
ولقد صبرنا فى قرون قد خلت
عاث العلو فساده فى أرضنا
فتضافر الشيطان مع أعدائنا
ولهم جهاد فى الملا وثبات
بعهودهم فأعزهم سادات
فتعلمنوا وتحسنت عادات
فى الأرثوذكس حياتهم ومات
شهدت لهم فى الله مؤتمرات
اصلاحهم سجدت له الهامات
لم يشتم ظلم ولا عثرات
حق المجحود وجله فقرات
فأصابنا ضربه وشتات
فاستشهد الآلاف والربوات
حتى خلت منا مديريات
وبديننا مذ كانت الظلمات
بين الانام فساءت الغايات

وانحط شعب الله من عليائه
بدأ التنوير فى البلاد مشوها
فتدرونوا وتمسكوا بطبيعة
ظن العدو بأننا فى هزيمة
واذا « منسى » فى ميادين الهدى
ينسى « منسى » أنه نسل الالى
نسل القمامة الكرام وآله
لا ريب ان الشبل يشبه والدأ
رباه شماس الشمس « حيينا »
فأجاد تربية أنت بنتائج
رباه مجتهداً وهذا ضوؤه
فأتى بكتب كالكثائب منجداً
لكن أنفعها لأرباب الحجى
هذا الصحيح من الأدلة كلها
ويليه « نور باهر » من قصده

اسكندر عبد المسيح الباجورى

فهرس

صفحة

| | |
|----|-----------------------------------|
| ٥ | مقدمة |
| ٨ | الباب الأول — |
| ١١ | الفصل الاول — |
| ١٦ | الفصل الثانى — |
| ٣٨ | الفصل الثالث — |
| ٥٦ | الباب الثانى — |
| ٥٨ | الفصل الاول — |
| ٦٣ | الفصل الثانى — |
| ٧٣ | الباب الثالث — |
| ٧٨ | الفصل الاول — |
| ٨٣ | الفصل الثانى — |
| ٨٧ | الفصل الثالث — |
| ٩٣ | الخاتمة |
| ٩٧ | فى ملء الزمان |
| ٩٩ | تحفة نفيسة |
| | شهادة العطاء للمسيح |
| | شهادة العطاء للمسيح قبل ظهوره |
| | شهادة العطاء للمسيح فى ابان ظهوره |
| | شهادة العطاء للمسيح بعد ظهوره |
| | فضل المسيحية |
| | عجز الشرائع عن تخليص الانسان |
| | العالم والمسيحية |
| | معجزة المسيحية |
| | الصليب |
| | رسل الصليب |
| | اتباع الصليب |